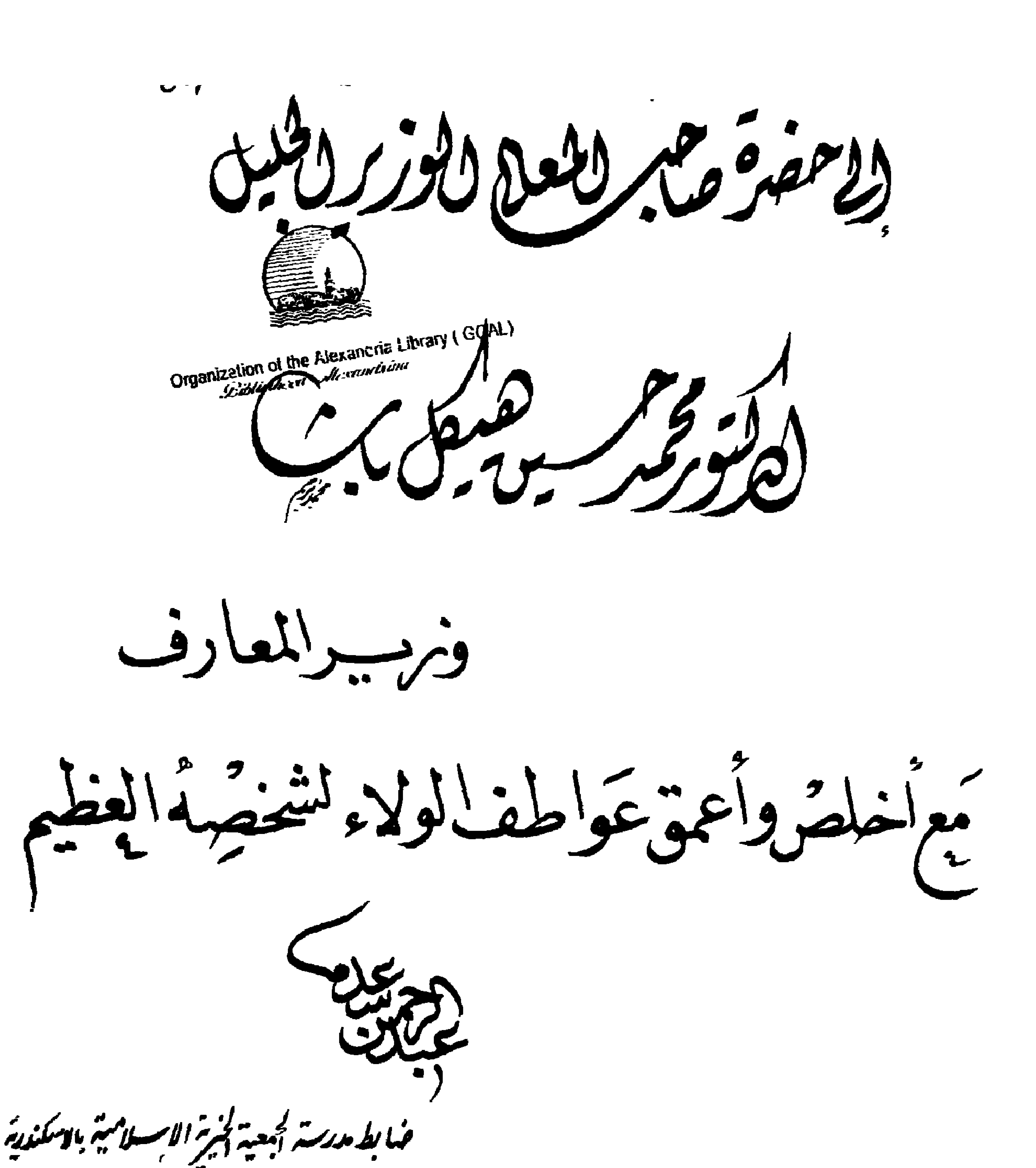




إلى حضرة صاحب المعالي الوزير الجليل

الدكتور محمد حسين هيكل باشا

وزير المعارف

مع أخلص وأعمق عواطف الولاء لشخصه العظيم

عبد الرحمن سعدي

ضابط مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية بالإسكندرية

«وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت»



عبد الرحمن محمد سعد



المؤلف

الإهداء

إلى الدهر الذى تلقيت عنه

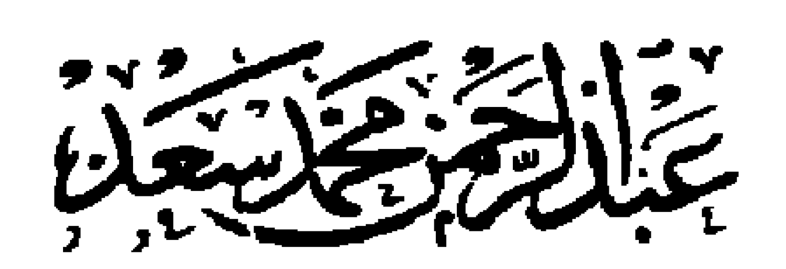
دروس الحياة ....

مقدمة

تتنازعني وأنا أكتب هذه المقدمة ، أفكار مضطربة حائرة ، وآراء هائجة ثائرة ؛ تحاول كل منها أن تفرض عليّ اتجاهاً خاصاً ؛ يتنافى مع ما أخذت به نفسى من تسامح ، ولكنى سأحبط سعيها ، وأهمل شأنها ، وأجعلها دَبْرَ أذنى ؛ ولو كان صوتها الـمُدَوِّى صوت العقل والضمير : لأنى وقد بلوت الناس ، وعرفت ما عرفت من خِبثهم وبغيهم ، وما انطوت عليه نفوسهم من ضِغن وحقد ، لا يجوز لي أن أطالبهم بما ليس فى طبيعتهم وهو الإنصاف . .

وبعد : فمن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما فى قلبه ، وهو ألدُّ الخصام ؛ بل من الأصدقاء من إذا ائتمنته ، ووثقت به ، خانك وغدر بك ؛ وجازاك على حبك عداوة ، وعلى ولائك جحوداً ، وعلى إيثاره على نفسك طغياناً وكفراً ؛ وإن كنت فى ريب من هذا فإليك مسرحيتى « الموءودة » : قد فصلت فيها ما أجملت لك ، وأوضحت بها ما خفى عنك . إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقى إلاّ بالله ربى . . .

ذى القعدة ١٣٥٧
يناير ١٩٣٩



الفصل الأول

المنظر الأول

« يرفع الستار عن « صالون » فخم فى قصر أنيق قد رتب أثاثه ترتيباً يدل على حسن فى الذوق تجلس على أحد أرائكه « رجاء » تداعب طفلتها « ناهد » وتناغيها إلى ان يدخل عليهما « فؤاد » بخطى متثاقلة وجسم مترهل ويقول فى تهكم لاذع وغضب مكظوم وهو يضع شيئاً ملفوفاً على المائدة »

فؤاد	طبعاً .. الأعصاب الآن هادئه ، والوجوه ضاحكة مستبشرة ، والبيت يفيض بالسرور ما دام صاحبه غائباً عنه .. أما إذا حضر فالنفوس تثور ، والسماء تكفهر ، والأرض تتقلب إلى بركان ثائر يقذف بالحمم فلا يبقى ولا يذر ...

رجاء	سبحان الله العظيم ... ماذا جرى يا فؤاد . ؟ أهذه هى تحية المساء .. ؟

فؤاد	لقد أصبحت عبئاً ثقيلا على هذا البيت وساكنيه الذين

كبروا على طاعتى وتنكروا لى وتفننوا فى إيذائى وازدرائى لا لشىء إلا أنى تركت لهم الحبل على الغارب ، ولم أشأ أن أضع لسفاهتهم ووقاحتهم حداً فتمادوا وتماروا بالنذر ...

رجاء لا أدرى ما الذى يثيرك ويغضبك . ؟

فؤاد كل شىء فى هذا المنزل يثيرنى ويغضبنى ..

رجاء كل شىء . !

فؤاد أجل ... كل شىء ..

رجاء هل لك أن تحدثنا عن شىء من ذلك الكل . ؟؟

فؤاد الحديث عنك وعن فضولك يحتاج إلى صحائف .. إلى مجلدات . ففى أى حديث تطمعين . ؟ أ أحدثك عن جهلك الفاضح ، وتشبثك بأذيال الماضى ، وتضييقك على حريتى ، وحرمانى من كل شىء ..

رجاء متى كان هذا .. ؟

فؤاد متى كان هذا .. ! كأنك قد نسيت ما صنعت بى ليلة أمس حين انتزعت الكأس من يدى ، وألقيت بها على مرأى ومسمع من الخدم والأطفال ..

رجاء هيه .. لأنى لم أشأ أن يعرف طفلاك شيئاً عن هذا الشىء الذى تتعاطاه فيقعا فيما وقعت فيه . وإذا بليتم فاستتروا .

فؤاد ألم أقل لك إنك متأخرة .. وإنك لا تصلحين لهذه الحياة التى نحياها أو ننشدها على الأقل .. وإنه كان الأحرى بمثلى

أن يتخير الزوج التى تفهمه وتعرف كيف تدخل السرور إلى نفسه . فيعيش فى كنفها معيشة أهل الجنه .. لا أن تجعل حياته سلسلة متصـــلة من الآلام والأوجاع .. هل قدر علىّ وحـــدى - يا رب - أن أمسى وأصبح فى شقاء دائم وهم مقيم . ؟؟ راجعى نفسك يا امرأه .. فكرى فى الأمر ملياً .. عاشرى الناس .. اختلطى بهم .. قلديهم .. انتفعى .. سأعطيك فرصة قبل أن أخطو الخطوة الأولى ..

رجاء لـكل شعب عاداته وتقاليـــده . وإذا جاز لأية إمرأة فى العالم أن تعاقر بعلها الخمـر على قارعة الطريق ، وتراقص غيره على مرأى ومسمع منه ، فأنه لا يجوز لشرقيـة مسلمة تدين بدين يحـرم على غـــيرها الدخول عليهـا بغير استئذان أن تفعل ما يفعلون ، وأن تركب من الشطط ما يركبون ...

فـؤاد ولـكنى أنصح لك بأن تشتركـى الليلة فى حفلة عيـد ميلاد « حسنى » اشتراكا فعلياً فتستقبلى ضيوفنا وتحتفى بهم ..

رجاء إننى أستقبل فى سرور وشرف كل ســـيدة وصديقة تشرف منزلى زائرة أو مهنئة ...

فـؤاد وكل سيد وصديق كما تقضى بذلك طبيعة الزمن الذى نعيش فيه ..

رجاء ليس هذا من شأنى ولم أخلق له ..

فـؤاد شأن من إذن يا امرأة .. ؟؟

رجاء « فى تهكم لاذع » شأنك أنت يا رجل « القرن » العشرين ..

فـؤاد وأنت .. ياسبة الدهر ، وعار الأبد ..

رجاء سأستتر .. سأكون بين يدى ربى ساجدة ، داعية ، مستغفرة .

فـؤاد هذا ما قدرته وأخذت الحيطة له . فلك أن تستترى وراء تقاليدك البالية ، وألا تزعجينا بصوتك المنكر وأوامرك الصارمة الظالمة التى تصدرينها جزافا الى الخدم فى التافه من الأمور .

رجاء سأحاول ..

فـؤاد أجل .. حاولى فسأتجاهل وجودك .. سأقول لصـــديقاتى وأصـــدقائى إنك قد سـافرت إلى الريف فى رحلة طويلة قد لا تعودين منها ..

رجاء قد لا تدع الـكأس لـكم فرصة أو مجالا فى التفـكير فينا ...

فـؤاد ثم إن أحداً من أصـدقائى الذين استجابوا لدعوتى الليـلة لن يفـكر فيك ، ولن يكلف نفســـه مشقة السؤال عنك . لأن المائدة ستـكون حافلة بالآنسـات وكرائم العقيلات ...

رجاء حسناً فعلت ..

فـؤاد ولن أكلفـك أنا شخصياً بشىء لأن « محـــلات الرمالي » قد تـكفلت بإعداد وتوريد ما يلزم من طعام وشراب ...

رجاء كل هذا حسن وجميل ولـكن ...

فـؤاد وماذا وراء « لـكن » هذه .. ؟

رجاء لـكن ... من الذى تـكفل بدفع الحساب ...

فؤاد	وما شأنك أنتِ فى هذا .. ؟ ؟

رجاء	لأعرف كم يتبقى بعد ذلك من مرتبك للأسرة التى أنت مسئول عنها أمام الله والناس ...

فؤاد	لقد طفح الكيل ولم يبق فى قوس الصبر منزع ولا بد من عمل حازم ...

رجاء	أجل ... لا بد من عمل حاسم حازم . فالحياة ليست كلها لهو ولعب . والدهر يومان يوم لك ويوم عليك ..

فؤاد	يا عجباً .. ! المرأة الجاهلة الحمقاء تلقى علىّ درساً فى الحياة والاقتصاد ...

رجاء	ولم لا ...

فؤاد	سأعرفك فى الوقت المناسب كيف تلزمين حدودك . فلا تخرجين عليها ، ولا تمدين أنفك فى كل شىء .. سأضع حداً لهذا السخف الذى يفيض به معينك القذر .. سأعرفك من أنا .. ؟ وإن كنتِ ريحا فقد لاقيت إعصاراً ..

والآن .. آمرك أن تغادرى هذا المكان ، وإلا حطمت رأسك ، وأرحت العالم من ثرثرتك وفضولك . هيا ... أسرعي فما تبقى من الوقت لا يكفى لترتيب المائدة ..

« ثم يقوم إلى المائدة يصف الكراسى حولها ويضع طاقات الزهر من فوقها بينما تغادر رجاء الصالون حزينة مكتئبة .. »

المنظر الثـــانى

« مائدة مستطيلة الشكل يجلس حولها خليط من الآنسات والسيدات والرجال يتصدرها «فؤاد» الذى يفتح القارورات ويفرغ منها فى كئوس مدعويه وهو يميل على أحدهم ويقول »

فـؤاد	أترانا نصبر طويلا على هذا الظلم الصارخ الذى نزل بنا دون أن نحرك ساكناً ، أم أنه من واجبنا أن نؤلف وفداً يلتمس من أولى الأمر فينا إعفاء موظفى الدرجة السادسة ـ أسوة بغيرهم ـ من هذا التبرع أو تلك الضريبة الفادحة التى أثقلت كاهلنـــا وقصمت ظهورنا ، وهدت كياننـا وجعلت ميزانيتنا بحـاجة الى قروض حتى تتوازن . .

ســامى	أو تحسب أن مثل هذا السعى يأتى بالفائدة المرجوة منه . ؟

فـؤاد	على المرء أن يسعي . .

ســامى	قد لا يصيبنا من هذا السعى الا إزدراء الناس لنا وازورارهم عنا ، ورميهم إيانا بالعقوق للوطن والكفران بنعمته . .

فـؤاد	أى النـاس تعنى بقولك هـذا . ؟ أتعنى سادتنا الأغنيـاء الذين ألقوا العبء كله على الموظفـــين التعساء وراحوا يغطون فى نومهم وأحلامهم هادئين هانئين كأنهم ليسوا من الوطن ولا

من أبنائه . مع أن خير الوطن ونفعه موقوف عليهم ، وعائد اليهم قبل غيرهم ..

فكتوريا ‏ وربما كان هذا المشروع الحيوى أول مشروع وطني تمتحن فيه رجولتكم بعد توقيع المعاهدة ..؟؟

سامى ‏ وأول فرصة سنحت للأغنياء ليؤدوا بعض ما عليهم للوطن . فلما أزف وقتهم اتجهت اليهم أنظار البلاد فإذا بهم ينقسمون الى فريقين أحدهما يلبي النداء ولكن .. فى فتور . والآخرون كأن فى آذانهم وقرا ...

فكتوريا ‏ وماذا صنعتم بهم . ؟ ؟

سامى ‏ ما يصنعه العبد لسيده من طاعة عمياء واحترام مطلق . .

فكتوريا ‏ كان عليكم كأمة مجاهدة أن تجعلوا احترامكم للأغنياء ، وإكرامكم لهم ، وعنايتكم بهم بنسبة احترامهم لكرامتهم ، وإكرامهم لبلادهم وعنايتهم ببنى جنسهم وأؤكد لكم إنه عند ما يشعر هؤلاء الأشقياء فى أنفسهم بهذا التحول يعدلون مسلكهم ويذكرون مصدر النعمة التى يتمتعون بها ..

لقد تألفت فى « انجلترا » بلدنا المحبوب جمعية باسم (الرفق بالخيل التى أضرت بها الحرب العظمى) وفتح باب الاكتتاب فلم يمض غير فترة يسيره من الزمن حتى أكتتب بالمبلغ المطلوب . .

وأنتم يا رجال أمة تعيش على مجد الماضى ، وتنام

على صيته وذكرياته . ماذا صنعتم لأنفسكم .؟ وأين أنتم ؟.
أنتم تنشدون الحرية وتخطبون المجـــد . ومن يخطب الحسناء
يغلها المهر..

مـاری «تقول وهى تميل عليهـــا بصوت خافت» إنك بقولك هذا
تثيرين نخوتهم ، وتهيجين الشعور الكامن بين جوانحهم ،
وهم شعب شديد البأس لم ينس ماضيه.. وليس من مصلحتنا
فى شىء أن يعرف حقـــه وينشط لواجبه بل علينا — ونحن
سفراء لبلادنا — أن نضل عقله ونميت شعوره وإحساسه ،
ونجعل منه عبداً لشهواته..

فكتوريا من أول واجبات المرأة المخلصة الفاضلة وفى مقدمة ما تعنى
به من أمر زوجهـــا أن تكون مرآة نفسه فتمحضه النصح
وترشـــده الى ما فيه من نقص . والا كانت غير جديرة
بحمل إسمه والانتساب اليه..

مـارى ولكنى لا أرى هـــذا الرأى الذى تقولين به.. فهذا المصرى
اذا تفتحت عيناه على مباهج بلاده التى استودعتها الطبيعة كل
ما تملك من سحر وجمـــال وفتنة حطم قيوده وأنكر حاضره
فأصـــبح لا يعجبه الا ما تنتج بلاده ولا يطـــربه إلا
صوت بنات جنسه..

فكتوريا وماذا فى هذا الشعور الحى ، والاحساس النبيل . الذى له قيمته
واعتباره عند كل إمرأة تحترم نفسها وتعتز بأصلها ونسبها..

ماري — لك رأيك ، أما أنا فما جئت الى مصر إلا لأشبع رغباتي كلها على حساب هذه المخلوقات التي تعيش على هامش الحياة وترعى في هذا الكلأ المباح من غير رقيب . .

فكتوريا — وإذا أعقبت منهم نسلا فماذا تصنعين به يا حمقاء .؟

ماري — أحتقره وأبرأ منه وأزدريه وألقي به الى حاضنة أو في معهد داخلي . . ثم لا تنسي أنني قد أخذت الحيطة لنفسي فتعاطيت من الأدوية الواقية ما يعصمني من الوقوع في مثل هذا الخطأ . .

فكتوريا — من أين جئت بهذا الرأي الخطر المدمر . ؟ وهل عثرت عليه وأنت في طريقك الى مصر الشقية بأمثالك ؟ ؟

ماري — بل من يوم أن فشلت في حبي وغرامي الأول وتركت البلاد تنعى من شادها وبناها . .

فكتوريا — الأيام يا أختي دول وعلى الباغي تدور الدوائر .. فمتى ترضين بخيري بك ، وتقنعين به كزوج .. ؟؟

ماري — حتى يلج الجمل في سم الخياط ..

فكتوريا — ولكن .. ألست معي في أن خيري بك يفضل بكثير غرامك الأول الذي أعرفه حق المعرفة ...

ماري — أنت واهمة يا أختي فغرامي الأول كان جنتي ونعيمي ...

فكتوريا — وماذا كنت تحبين في عامل منجم ... ؟ ؟

ماري — كنت أحب فيه رشاقته وخفة روحه .. كنت أحب

فيه عينيـــه الزرقاوين ووجهه الأبيض المشرق ، وقد استتر وراء طبقة رقيقة من غبـار الفحم كما يستر ستار الماضى أجمل الذكريات .. حبيبي شارل ما أكثر عتبي عليكَ . فقد حطمت قلبي وهو مملوء بحبك ...

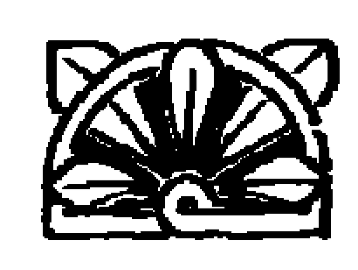
فكتوريا أذكر أنه كان قصيراً ....

مارى كالحلم الجميل .. فكتوريا .. لا تستغلى ضعفى ونقمتى عليه فتنالى من ذكراه المقدسة عندى ، فليس فى العالم كله من يملأ فراغه وينسيني أيامه إلا الكأس فأديرها علىّ حتى أغرق آلامى وأنساها ...

فؤاد « يقف وكأسه بيمينه ويقول » أشرب كأســاً فى صحتكم — أيها السادة — وأدعوكم إلى المائدة الخضراء بعد أن نشرب « نخب » سعادة ولدى « حسنى » فى عيد ميلاده العاشر ...

مارى « ترفع كأسها وتقول » فى صحته وسعادته ..

فينهض الجميع ويقولون « يعيش .. يعيش .. يعيش .. » ثم ينتقلون إلى المائدة الخضراء حيث ينشطون فى اللعب وجمع النقود . فتثور ثائرة من يخسر ويحول بين الرابح وبين الخروج . فينقلب الصالون إلى ميـــدان حرب سلاحه الأوانى الخزفيـة الثمينة ، والزهريات وتنجلى المعركة بجلاء أبطالها وخروجهم من الميدان خاوى الوفاض بادى الأنفاض ...



المنظر الثالث

« تدخل رجاء إلى الصالون بعـــد فترة سكون لتجمع ما انتثر من الأوانى وتعيد كل شىء إلى مـــكانه ، وبينما هى ترقأ ما انهل من دمعها يدخل « فؤاد » يصخب ويلعن كعادته . فلا تلتفت اليـه ، وتمضى إلى بعض شأنهـا فيروعه إهمالها إياه ، وينقض عليها يكيل لها الضربات واللكمات وهو يقول »

فؤاد سأشعرك بوجودى .. سأعرفك من أنا .. ؟ ؟

رجاء « فتدفعه عنها بكلتا يديهـا وهى تقول » لقد حطمتم كل شىء فى المنزل . ولم يبقَ غير رأسى فهل تريد تحطيمه . ؟ دعنى واذهب إلى غرفة ولدك ثم أنظر ماذا صنعت الخمر به ..

فؤاد لا شأن لك بولدى فهو ملك خالص لي أرعاه وأتولى شأنه ، وأرى سعادته فى الطريق الذى أسلكه ، والذى يطلب إلىّ أن أتخذ سبيلا آخر فى الحياة إنما يتداخـــل فيما لا يعنيه ...

رجاء إذا كانت الخمر هى وسيلتكم فى هـــذا العصر ، ومطيتكم إلى المستقبل الذى تنشدونه . فبئست بها من مدنية تلك التى لا تقوم

إلا على فقدان العقل والشرف والكرامة ...

فؤاد وهل أخرنا ودس رأسنا فى التراب ، وجعلنا فى مؤخرة الأمم غير هذا اللغو الذى ينضح إفتراء وإفكا وبهتاناً ..

رجاء إن الذى أخركم وضرب عليكم الذلة والمسكنة ، وجعلكم عبرة ومثلا فى الغابرين . هو انغماسكم فى حمأة الرذيلة وتهالككم على كل جديد ، وتفاخركم بكل نقيصة ، وتفانيكم فيما حرم ربكم عليكم وذلك هو الخسران المبين ...

فؤاد كفى .. كفى يا امرأة فقد ذهب إلى غير رجعة ذلك الزمن الذى كنت أعتد فيه برأيك ، وأجد فيه العقل والحكمة والرشاد . حتى مجتنى مجالس الأنس وزهد فى صحبتى أصدقائى الذين كانوا يسخرون من بساطتى وجهلى ، وحسناً كانوا يفعلون . إذ لم يكن جائزاً أن أتمادى فى الثقة بك والانقياد لكِ إلى حد البلاهة ...

رجاء أتذكر ذلك الماضى الذى تذكره اليوم وتزدريه ... ؟ ؟

فؤاد أذكر البؤس والشقاء والحرمان ...

رجاء يا رجل .. أتق الله ولا تأخذك العزة بالغضب . فتنسى فضل الله عليك وما كنت فيه من نعمة سابغة . فقد كنت تنعم بحريتك ، وتتمتع بمرتبك ، وتدخر منه فى البنوك والشركات .. كنت إنساناً — ما وسعته هذه الكلمة من معنى جليل — تصل رحمك وتعطى من فضل يدك ...

كان منزلك بالأمس القريب ملجأ الفقراء والمساكين ومثابة الأهل والأقربين ، فأصبح بين عشية وضحاها مأوى المرابين والمحضرين ومباءة الخليعات والمقامرين ...

فؤاد ثم ما ذا يا امرأة .. ؟ ؟

رجاء ثم أنظر إلى حالنا اليوم بعد أن أنفقنا كل شيء ... وبددنا حتى ما أودعناه فى صندوق التوفير باسم الطفلين فماذا بعد هذا من مصاب فادح وخطب عظيم ...

فؤاد أنا حر فى أموالي أنفقها حيث أشاء ، أبددها ، أبعثرها ذات الشمال وذات اليمين لا حساب لأحد عندى ولا شأن لمخلوق فيما أرى وأفعل ...

رجاء ولكنى باسم هذين الطفلين أحاسبك ، وأسألك باسم الأبوة البارة أن تدخر لهما شيئاً ينفعهما فى حاضرهما ومستقبلهما المجهول . وأن تعترف بإنهما صاحبا حق فى مالك .. إننا أسرة واحدة .. شركة مساهمة لنا فى الربح وعلينا فى الخسارة . فمشورتنا عليك واجبة ، وحقنا عندك مفروض الأداء وأنت به زعيم .. ثم نحن منك وإليك فتدبر أمرك ترى أننا أحنى عليك وأحب لك من أمثال هؤلاء الأصدقاء الذين يحبون فيك موائدك . حتى إذا أقفرت تفرقوا من حولك ، وانفضوا عنك ، وتركوك قائما تنعى مالك وأصدقاءك ...

فؤاد	لن أعـــترف بعد اليوم بهـذه الشركة التى ستجعل مِنــك رقيباً علىّ وعلى أصـــدقائى الذين بغيت واقتربت عليهم ظلماً وعـــدواناً .... فما أعرف لهم جريمـــة أجرموها فى حقك يا خاملة .....

رجاء	إنهم أجرموا ويجـــرمون .. أجرموا يوم جردوك من وقارك ورجولتك ، وقذفوا بك إلى أماكن اللهو ومثـــلوا بمستقبلنا وبك أشنع تمثيل .. فقد كنت ملء إهابك نضـارة ووجاهة ووقاراً ، كنت المثـــل الأعلى للرجل المتزن الذى يعرف واجبه ...

فـؤاد	ما هذا يا امرأة .. ؟ أترثيننى حيا .. ! قاتلك الله وخلصنى من وقاحتك وفضولك وجهلك الفاضح ...

رجاء	ووقاك شر أصـــدقائك ونجانا من مكرهم بك ، وبغيهم علينا وهيأ لكَ من أمركَ رشداً ...

فـؤاد	عليك نفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت ..

رجاء	إنما نحن روحان فى جسم واحـد إذا تألم فيه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالشـــكوى والألم ، فأنت نفسى التى بين جنبى وحياتى التى أحياها .. فأفهمنى على حقيقتى وقـــدر مشورتى قدرها . فما كنت غاشة لك أو خادعة ..

فـؤاد	لست مستعداً اليوم ولا بعـــد اليوم لتلقى دروس من هذا النـوع الرخيص على أمثالك .. فمن مصلحتك ومصلحة

أولادك أن تدعيني وشأني ، ولن يكلفك ذلك شيئاً أكثر من أن تخلعي عنك مسوح الترهب والزهد ، وأن تذكري أنك زوجة ... وزوجة فقط قبل أن تكوني أستاذاً أو شيئاً آخر .. وما أحسبك قد نسيتِ أن الرجال قوامون على النساء ...

رجاء الرجل الذي يوزع رزق عياله على البغايا وأشباه الأصدقاء في غير روية أو تبصر ليس أهلا للقوامة على أحد بل تجب حكما وشرعاً مؤاخذته والحجر عليه ..

فؤاد عظيم .. عظيم جداً انتهزي هذه الفرصة اليتيمة المواتية واكتبي الى المحكمة الشرعية .. اطلبي اليها أن تجعل منك قيما عليَّ .. سأضع نفسي من الآن تحت تصرفك فماذا تقولين ؟ وبم تأمرين ؟ تكلمي فقد كدت أجن مقدما ..

رجاء تطلب اليَّ أن أتكلم فماذا تنتظر أن أقول ... ؟ ؟

فؤاد قولي ما يقوله العقلاء من أمثالك حين يتصدرون مجالس الوعظ والأرشاد ...

رجاء لا أنكر أنك تعلمت ... وتعلمت كثيراً ولكنك — بكل أسف — لم تنتفع بعلمك فلم تستكثر على مثلي أن يعظك وينصح لك ....

فؤاد إن الزمن يتقدم ويسير إلى الأمام بخطى حثيثة حتى الجماد قد تحرك وأنت لا تزالين في مكانك ، وعلى ضلالك القديم ..

رجاء ولكن لا زالت الفضيلة هى الفضيلة ، والرذيلة هى الرذيلة مهما تقادم بها العهد وطال عليها الأمد ..

فؤاد الرذيله هى هذا الجهل الفاضح الذى زهدك فى حياة المجتمع ، وقضى عليك بالفناء بين هذه الجدران الأربع .. هى هذا الشذوذ الذى لا زمك ، وامتزج بحياتك وأصبح جزءاً من طبعك ، هى هذا الجمود الذى يقف حداً فاصلا بينك وبين حياتنا التى نحياها ..

رجاء إذا كانت هذه كل رذائلي فاللهم زدنى منها ..

فؤاد ياللشيطان .. قد أعجبتها رذائلها فجاءت تطلب منها المزيد ..

رجاء رويدك .. فالباب يطرق

فؤاد من بالباب يا غلام ... ؟

الغلام رجل البوليس جاء يطلب سيدى ...

فؤاد دعه يدخل ..

الغلام إنه يلح فى حضور سيدى بسرعة لأمر هام ...

فؤاد ترى ماذا يكون .. ؟ ؟

رجاء « وهى تستتر خلف الباب » يا آلهى ... لقد أثقلت كاهلى بالنوائب .. فإلى متى .. إلى متى يا رب ... ؟ ؟

فؤاد « يتقدم من الجندى ويسأله » خيراً ... ما وراءك . ؟

الجندى أتعرف السيدة مارى . ؟

فـؤاد • نعم .. أعرفها ..

الجندى وهل رقم هذا البيت ١٣٢ من شارع المبتديان . ؟

فـؤاد عليك أن تعيد قراءته إن كنت فى شك منه ..

الجندى إذن لحضرتك خـيرى بك .. ؟ ؟

فـؤاد « بعد فترة صمت » وما الداعى لهذا السؤال .. ؟

الجندى إذا كنت هو فلى معك حديث ...

فـؤاد كلى آذان صاغية .. فتكلم ...

الجندى لقـد ضبط « بوليس الآداب » السـيدة مارى المذكورة فى مـنزل يدار « للدعارة السرية » ولمـا سئلت قالت إنها زوجك وأرشـدت إلى منزلك هـذا فهل فى نيتـك أن تضمنها وتتسلمها من القسم ..

فـؤاد « بعد تردد » سأفـكر فى الأمر ثم ألحق بك

« ثم يدخل الى حجرة نومه ليحضر معطفه فتعـترض طريقه رجاء وتقول »

رجاء إلى أين .. ؟ ؟

فـؤاد الى حيث أشاء ...

رجاء إنى أمنعك ....

فـؤاد « ثائراً » تمنعينى يا امرأة ... ؟ هـذه جرأة كلهـا نذالة ووقاحـة ....

رجاء حذار يا فؤاد .. إنك تحاول ارتـكاب حماقة فأنا أنذرك

بأنك سوف تندم حين لا ينفعك الندم ..

فؤاد أنا أرفض هذا الأنذار ولو كان على يد محضر ...

رجاء أتسمح لنفسك وأنت رجل مثقف بأن تنتحل شخصية رجل خانته إمرأته وحطمت حياته وغدرت به ...

فؤاد اخلى طريق يا امرأة وإلا حطمت رأسك

رجاء فؤاد .. أتعرض حياتنا ومستقبلنا للخطر من أجل إمرأة ساقطة لا وفاء ولا عهد لها ..

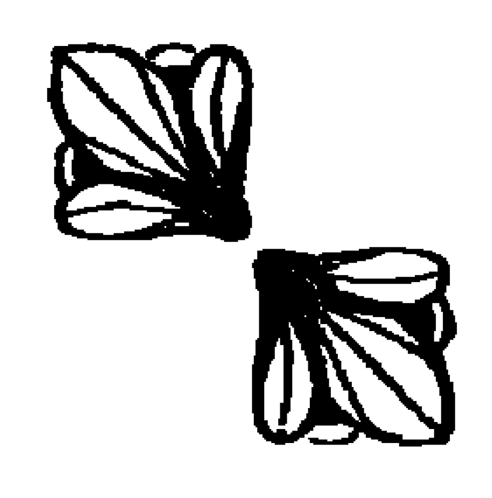
فؤاد سأفعل كل ما يطيش بعقلك ويذهب بحياتك ولو كان فيه شقائى وتعاستى ...

رجاء إذن فأنت ستضمنها رغم توسلى ورجائى .. ؟ ؟

فؤاد « يركلها بقدمه ويقول وهو يخرج » وسأتزوجها إذا أقتضى الأمر ..

رجاء « تقع مغشيا عليها وتقول بينما الستار ينزح ببطء .. »

رح .. الله يسامحك



الفصل الثانى

المنظـــــر الاول

« يرفع الستار عن حان تجلس فى زاوية منه امرأة خليع توزع فى فضول وإغراء ابتساماتها ونظراتهـــا الساحرة على كل طارق وقادم حتى إذا أقبل عليها فؤاد وأخذ مجلسه منهـــا زمت شفتيها وأشاحت بوجهها وقالت ».

ماری فؤاد ... دعنی ..

فؤاد ماری ... ما الذی طرأ علیك ؟.

ماری أريد ان أبقى منفردة ..

فؤاد « يطوق خصرها بيديه ويقول » وهذا ما رجوت أن يكون

ماری « تحاول الأفلات منه وتقول » اتركنى أرجوك ..

فؤاد لن أتركك ..

ماری هذا كثير ..

فؤاد الـــكثير هو هـذا الأعراض الذى لا أفهمـه ولا أدرك له سبباً

فخبريني ماذا حدث .. حدثيني عن حالك ...؟

ماري حالى .. ! كما ترى ضيقة الصدر ، خائرة النفس ..

فؤاد لم يكن هـــذا شأنك أول الأمس .. فماذا دهـــاك اليوم ؟. ماذا جرى ؟؟.

ماري أوه .. تعبه وهذا كل شيء ..

فؤاد قليل من التريض فى ظاهر المدينــــة يعيــــد اليك نشاطك فهيا يا فتاتى .. هيا بنا ..

ماري لا قدرة لى على السير ..

فؤاد نركب عربة ..

ماري لا أحب الركوب ..

فؤاد نرقص . نضحك . نلعب كما تحبين ..

« ترفع شعرها عن جبينها وتجز على نواجذها وتضرب الأرض بقدمها وتقول »

ماري أوه ياسلام من فضلك لا تضايقنى

فؤاد مارى ما هذا ؟. هل جئت ذنبـــاً ؟ هل اقترفت إثمـــاً ؟ هل قصرت فى جنب حبك خبرينى .. خبرينى بالله ..

ماري هذا شيء متعب ، ومتعب جـــداً ، أموكل أنت بعضـــايقتى يا فؤاد ؟. سبحان الله ..

فؤاد مارى .. ما معنى هـــذا .؟ تكلمى بصراحة ، وتأكدى أن المراوغة فى الـــكلام أشد وطـــأة على النفس من كل

ما تستطيعين قوله . فتكلمي يا حياتى .. صارحينى بكل شيء ..
لقد أقسمت أول أمس أنك تحبيننى من كل قلبــك .. أول
أمس فقط فما الذى بدا لك فى شأنى .؟ ما الذى غــيرك .؟
أجيبى يا مارى وإلا أصابنى الجنون .. إننى لا أصــدق ولا
أدرك أنك كنت فــيما مضى تخــدعيننى . نعم لا أستطيــع
أن أتصور ذلك ..

مارى لا تسأل فيما لا يهمك ولا يعنيك ..

فؤاد بل يهمنى ويعنينى يا حبيــبتى أن أعرف فان كان لديك شيء
تهميننى به فتــكلمى .. تكلمى بصراحة ودعينى أصحــح
مركزى فى عينيــك وإلا فــوداعاً الى الأبد .. وداعا
الى غير لقاء ..

« ثم يأخذ طريقه الى البــاب فتمسك بأذياله وتجره اليهــا
وتقول فى تدلل مشوب بالتيه الممزوج بالخبث »

مارى يظهر أنى لست جديرة بحبك يا فؤاد ..

فؤاد « فينقلب اليهــا ويركع بين يديها ويقول » قولى غير هــذا
أصــدقك يا مارى فأنت .. أنت جــديرة بحب الآلهة
يا معبودتى ..

مارى « تنظر اليه نظرات تطــول وترق وتقول » لو كنت كذلك
لما تركتنى وراءك ظهــرياً يوماً بطــوله وإلا .. فأين
كنت ياقاتلى بالأمس .. ؟؟

فؤاد — يطول بى القــول يا صغيرتى إن رويت لك حوادث أمس ولـــكنى أكتفى بأن أقول إنى كنت أنقب عن حاجتك .. عن هذا « الخاتم » الثمين ..

« ثم يضعه فى يدها ويقبلهـــا فتأخذ يده بين يديهـا وتضغط عليها فى حرارة وتقول »

ماری — فؤاد .. حبيبى .. أتحبنى .. ؟ ؟

فؤاد — أحبك ! أحبك من كل قلبى .. أعبــدك وأنت تعرفين ذلك فأنا لم أؤخر لك طلباً منذ عرفتك

ماری — هذا هـــو الحب الذى كنت أبحث عنـــه فى قلوب الرجال فأضل سبيله ولا أجده .. هذا هو الحب الذى أنشده وأتمناه..

« ثم تغـادر كرسيها وتجلس على فخذه وتطوقه بساعدهـــا الأيمن وتلصق رأسها برأسه وتقـــول بصوت عذب حنـــون وهى تؤرجح رجليها »

« مين فى حبه شاف هنا زيى أنا » ...

فؤاد — بربك يا ماری .. لا تعبسى فى وجهى عنـــد اللقاء مرة أخرى فان هذا يزعجنى..

ماری — محال يا غرامى ما دمت لا تتعمد إيلامى ..

فؤاد — إيلامك .. إيلامك أنت يا ماری .؟ لم أفهم بعـــد ماتقولين لأنى لم أتعمـــد إيلامك يوماً ، لم أعمل إلا ما يبعث السرور إلى نفسك ، لم أفكر فى غير رضاك ..

ماري — الكأس إذا غابت عن مجلسي يا فــؤاد غاب عقــلي وغادرني رشادي ، فسروري لا يتجــدد إلا بها ، وسعادتي لا أجدها إلا فيها .. فاوجدها تجدني بين يديك راضيــة ضاحــكة مستبشرة .. أبادلك حباً بحب وغراماً بغرام ...

« ثم تميل عليه في خفــة ورشاقة وتمسك بذراعيه وتطوق بهما عنقهــا فيسايرها في نشوة الظــافر ثم يرفع اليها وجهه ويقرب شفتيه من شفتيها ويقــول والشفــاه تتــلاقى في قبلة عميقة »

فؤاد — اثنين وسكي بالصودا ياجورج ..

فتشير بيد خفية الى « الجرسون » ليستبدل لها الخمر بقليل من « الشاي المثلــج » ثم تغرق في طلباتهــا حتى تتكدس الأوراق الحمراء التي يأتي بها « الجرسون » عادة مع المشروب وقد دون بها الثمن . فيدفعها فؤاد ولعابه يسيل وأمعاؤه تضطرب بينما هي تجمع أطراف ثوبها وتغادره لتحاسب صاحب الحان على الطلبات التي طلبتها ولم تشربها مع العمولة التي تأخذها عن كل طلب يقدم الى من يجلس على مائدتهــا من المعجبين بها .. ثم تعود الى مجلسها الأول لترتب شعرها وتعيــد طلاء وجهها وتتــأهب لفريسة أخرى ..

المنظر الثانى

« يدخل « عصمت » الخان وهو متأبط جرائده وكتبه فيلتقى « بمارى » وهى تغادرها فيعترض طريقها ويتشبث بها ويقول »

عصمت — مارى العزيزة ذات الوجه المشرق والابتسامة الساحرة تغادرنا قبل أن نأخذ حظنا كاملا من السرور ، مكانك يا فاتنة .. مكانك يا درتى المكنونة ...

مارى — ماذا تريد يا عصمت . ؟ أتريد أن تؤلف منى قصة . ؟

عصمت — بل أريد أن أسعد بك لحظة .. لحظة واحدة ..

مارى — لا أملك الوقت الذى يتسع لتلك اللحظة ..

عصمت — ولكن لى فى تلك اللحظة حياة .. فلا تختصرى حياتى بهذا الشكل ، ولا تضنى علىّ بنظرة هى كلها عبادة وتقديس للحب والجمال ..

مارى — أنت رجل خيالى تنشد المثل العليا وتبحث فيما وراء المادة أما أنا فامرأة شغلتها المادة عن كل شأن آخر فأسلوبى فى الحياة غير أسلوبك فدعنى . فلكل وجهة هو موليها ..

عصمت حتى أعرف السر فى مجيئك إلى هنا وعمن كنت تبحثين .. ؟؟

مارى هيه .. كنت أبحث عن أديب ..

عصمت أزهدت فى مباهج الحيـــاة كلها فجئت تبحثين عن الشقاء وأهله ، هاقد وجدت ضالتك فأجلسى ..

مارى قلت لا أملك وقتى ..

عصمت قولى غير هذا . فمن تعرف الكأس لا تعرف للزمن وقتاً ولا حساباً ..

مارى صدقت ولكن .. على حساب من أجلس . ؟؟

عصمت علي حساب الساقى نفسه فالكأس بدونك لا تحلو ومجالس الأنس بغيرك لا تطيب ..

مارى على أن تحملنا على أجنحـــة خيالك الى عالمــك الذى تعيش فيه . ؟

عصمت ما أنا فى حقيقتى إلا حشرة تتنقل بين الأزاهر

مارى لتخـــرج للناس شراباً من عسل مصـــفى ، ولتقص عليهم أحسن القصص التى تستخلصهـــا من صميـــم الحيـــاة ...

عصمت أتذوقت شيئاً منها .. ؟ ؟

مارى طبعـــاً .. قرأت قصتك الرائعـــة التى تقول فيها « قبل أن تأخـــذوا المرأة الساقطة بجرمها أو تسألوها عما اقترفت اسألوا هـــذا المجتمع الذى بغى عليهـا ومهد لها سبيل الغواية

والضـــلال ، وحال بينها وبين أن تكون امرأة فاضلة وزوج صـــالحة ، وربة أسرة ، اغســـلوا ايديكم من الجريمة — أيها الناس — وارتفعوا بأنفسكم عن الشبهات حتى يطمئن المتهم إلى قاضـــيه ويعرف الناس فيكم حكاماً عادلين ...

فلله درك من رجـــل عرف كيف يشخص الداء ويصف الدواء ..

عصمت الواقع أن الذنب فى هـــذا ليس ذنب المرأة وحـــدها ، ولكنه ذنب المجتمع .. ذنب الرجـــل الذى مكر بها وأغراها حتى أضلها السبيل ..

مارى لو جاز لامرأة ساقطة أن تشكر مخلوقاً فى هذا العالم الذى قل وفاؤه لما كان شكرها خالصـــاً إلا الى الرجل الذى يقف الى جانبهـــا ليعتذر عن ذلتها أمام هـــذا المجتمع الصـــاخب الذى قذف بها فى مهـــاوى الذل والفـاقة بعد أن زور لها القول ثم راح يحتقـــرها ويزدريها ...

عصمت فى اعتقـــادى أن المرأة الحقـــيرة المجرمة هى التى تجنى على الفضـــيلة وتتكلم باسمها .. هى التى تخون بعلها وتحطم أنفته وكبرياءه .. أما أنت فسبيلك فى الحيـــاة واضحـــة لا غموض فيها ولا لبس ولا إبهام .. وهذا

يا عزيزتى هو رأيى الذى سأعمل جاهداً على إذاعته ونشره بين الناس ...

ماری	صدقنى يا أستاذ إذا قلت لك إننى معجبة الأعجاب كله برأيك وأدبك وإنتاجك متنبئة لك بمستقبل باهر زاهر فى عالم القصة راجية أن تنال مؤلفاتك القيمة حظها وافراً من الذيوع والانتشار ...

عصمت	إننا يا عزيزتى نكتب لجيل غير هذا الذى نعيش فيه فلا ننتظرى منه إقبالا علينا أو تشجيعاً لنا ، وأكبر الظن أننا سنمضى قبل أن نحس لمؤلفاتنا أثراً أو خطراً ... وتأكدى أننا نتخذ من عصارة أفكارنا وذوب قلوبنا التى نؤلفها كتباً وسائد ووقوداً للدفء ...

ماری	طريقتكم — أيها الادباء — فى العرض مغرية خلابة فكيف بها إذا اتصلت بأدبكم وما تنتجون .. وكل ما أرجو أن تكون فى حديثك عن قصتك مبالغاً ..

عصمت	الحديث عن قصتى يثير فى النفس انفعالات وآلام نحن الساعة فى غنى عنها وخاصة فى جلسة كهذه ننشد فيها الهدوء والصفاء فلا تذكريها بربك بخير ولا بشر ..

ماری	بعد أن أعرف مصيرها وما قد بعت منها ..

عصمت	بعت ملابسى وما أملك ..

ماری	يارجل .. أتمزح .؟؟

عصمت ولا أقول إلا حقاً ..

ماري يا لضيعة الأدب إن كان هـــذا نصيب رجل مستنير مثلك .. ولكن .. أحقاً ما تقول يا عصمت .؟؟

عصمت سلي عمـــلائي الدائمين .. سلي سوق « الكانتـــو » وتاجر « الروبيبكيا »

ماري أليس لك قراء معجبون ، وأصدقاء مخلصون يقبـــلون على أدبك يشجعونه ويذيعونه بين الناس ..

عصمت قرائي يا حبيبتي كأصدقائي لا وفاء لهم ولا خير فيهم . فقولي معي « اللهم نجني من أصدقائي »

ماري اللهم خلصني من أصدقائي ونجني من مكرهم وبغيهم وهيء لي من أمري رشدا انك تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب

عصمت « ينظر الى عينيها التي تندت بالدموع ويقـــول » يالله .. حتى أنت يا ماري تبكـــين .؟ كنت أحسبك هنيئـــة سعيدة .. كنت أحسب أن هـــذه العيون ، وتلك السهام التي تصمي وتقتل وهي في الأجفان قد خلقت للسحر ولم تخلق للدموع ، كنت أحسدك ياماري ..

ماري «وهي تغص بريقهـــا » تحسدني .. طبعـــا وهل يحسد غيري ولكن .. على أي شيء تحســـدني يا عصمت .؟ وليس في حياة عاهر ما تحسد عليه ..

عصمت — على الحرية التى تتمتعين بهـــا ، على الهنـاءة التى تمرحين فيهـا ، على اليسر ، على الرخاء ، إنك ملكة غير متوجـــة لا رأى لاحد معك ، ولا سلطان لمخــــلوق عليك ، لا محاسب لك ولا معقب لحكمك ، تسيرين حيث تشائين وأنى تشائين ، تنامين فى الدمقس والحرير ، وتتقلبين على المهج والقلوب ، تخلعين الفاخر من الثياب لتلبسى أفخر منـــه ، تجدين كل ما تشتهيه نفسك وتلذ به عينك لك من دلالك وجمالك وخفـــة روحك معين لا ينضب ومـــلك لا آخر له .. كل وقتك بل حياتك لهـــو ولعب .. تلك هى السعادة التى لا تواتينا حتى فى الأحــــلام نود لو نرفع رءوسنا بقليل من الكبرياء الذى يحفظ علينا كرامتنـا أو شيئـــاً منها ولـــكن الناس ياعزيزتى يأبون إلا أن تمـــتد سيطرتهم حتى الى تلك الصفة المعنـــوية وذلك النصيب المتواضع لاننا لا نملك من الجاه والمـــال ما يملكون ولا نصطنع من الرياء والنفاق وقول الزور ما يصطنعون ويزورون واحسرتاه .. دعيـــنى أبك بكاء مراً على الأخــــلاق ... عـــلى حلمى الضائع فى عصر المدنية والنور ...

مارى — عصمت .. لا تبخس حياتك حقها ولا تسرف فى حسن الظن بى . فما كان أغنـــانى عن الوقوف أمام المرآة الساعات الطوال لأهذب هنـــدامى ولأصلـــح بالطلاء ما أفسد الدهر لو أننى كنت أعرف الحرية والهناءة والرخاء أو شيئا منها ..

قل لى بربك لمن أخلع وألبس الفاخر من الثياب . ؟ لمن أزجج الحواجب والعيون . ؟ أمن أجل نفسى التى سئمت كل شىء واجتوته .. أم من أجلكم أنتم .. من أجل دراهم معدودة أهش وأبش وأفتح ذراعى لكل طارق لا أرد يد لامس .. يستوى لدى العظيم والحقير يتعلنى هذا وذاك مهينة ، ضعيفة ، لا شأن لى ولا خطر ، لا أكاد أشعر بطعم الحياة ولا أعرف أهى مرة فى أفواه الناس مرارتها فى فمي أم أنى أنا التى أسمم حياتى وأسود صفحاتها .. أنى أسرع الخطى وراء شرفى الممزق الذى أصبح نهباً مقسما بين الناس ولكنى لا أجد فى النهاية غير البؤس مقبلا والحزن وآلام الحياة ..

عصمت « يقول وهو يضحك ضحكة لا حياة فيها » أنت .. خسرت الدنيا يا مارى . ؟ ليت نصيبي منها كنصيبك وحظى منها كحظك .. أمن يرى العالم أن لواء السرور معقود بوجودها تكون شقية أم سعيدة . . ؟؟

الشقى ، البائس ، التعس هو صاحب الرأى الذى يعيش مغموراً ويموت مجهولا من الناس حتى إذا وجدوا فى انتاجه وأدبه ما يخلد ذكره نسبوه إلى غيره من ذوى الجاه واليسار . حتى « شكسبير » شاعر الانجليز الأكبر يزعم بعض الأدباء ورجال التاريخ أنه شخصية خيالية لا أصل لها وأن

واضع المؤلفات التى تحمل اسمه هو اللورد « بيكون » أرأيت كيف ينكرون عليه حتى وجوده ويظاهرهم فى ذلك الأدباء . .
هل قتل الأدب وأزرى به غير أهله . .

ماري إن لك فيما تترك للناس من مؤلفات قيمة فى الأدب والاجتماع وما تخلف فيهم من أثر حى ورأى صالح ما يسجل اسمك فى ثبت الخالدين ، ومن حسن حظك أن أغنياءكم ليسوا كلوردات الانجليز على شىء ولو قليل من العلم . .

أما العاهر . . أما التى تحيا مفجوعة ولا يدرى أحد بفجيعتها فمن أين لها ذلك . . وهى تعيش بين ذئاب جائعة تنهش جسدها وشبابها ، حتى إذا دبَّ النحول إلى جسمها وسرى الشقاء فى جوانب نفسها ، وأوشك أن يذهب بما كان كامناً فى محاجرها من السحر، فانتقلت حمرة وجنتيها إلى عينيها ، وهاجر سواد لحظها إلى حظها وامتد اصفرار شعرها إلى لونها تركوها لقمة سائغة للبؤس والفاقة . .

عصمت كلمة لا تنقصها الصراحة أقولها فى غير تحفظ إنك غامرت يا مسكينة بحياتك وقامرت بمستقبلك فخسرت كل شىء ولم تبق على شىء ، وأنا مثلك شمعة تحترق لتضىء للناس فى ظلمة الليل سبل الحياة وتكشف لهم عن سوآتها ولكنهم يتركونها تذبل و تفنى و تتلاشى . . .

ماری لقد صورت حیـــاتی أبلغ تصویر وقلت الحقیقة التی لم تدرکها نفسی الا بعد فوات الوقت وذهاب الفرصة ...

عصمت ماری .. إنني بحاجـــة قصوى إلى كأس أغرق فيـــه آلامی المبرحة القوية التی أيقظتها هـــذه الشجون ، فاسرعی بنـــا الى صاحبك فؤاد ولا تزيدی علی ما قلت كلمـــة فان عقـلی الساعة قد غادرنی ، واليأس قد تملـــكنی ، والحياة علیّ قـــد هانت وأصبحت هی والعدم سواء

ماری عصمت .. ماذا أصـــابك .. ؟ ماذا دهاك .. ؟ وقـد كنت مـــلء إهابك حيوية وشجاعة وإقـــداماً .. هدیء من روعك ، وثب إلى رشـــدك ، ولا تجحد نعمـــة الصبر والمعرفـــة

عصمت دعينی بربك من المعـــرفة وما جرته عـــلیّ من آلام . فلو أنني كنت فدماً جاهـــلا محدود الفكر والأحساس لامتلأ جسمی المترهل صحة وعافيـــة . ولوجـدت السعادة كلها فی أفقی المحدود ..

أين أنا اليوم من صـــاحبك فؤاد الذی حفظ المنهـــج المقـــرر ولكنه لم يفهم .. لم يفقـه من شـــئون الحياة شيئـــاً .. ذلك المخلوق الذی يذنب ويرتكب الكبـــائر كلهـا ثم يثاب علی معصيته بالمـــال الذی ينفقـه فی ملاذه وشـــهواته ، بينما أنا أدعو الخلق الی معـــرفة الخالق .

وأحبب اليهم فعـــل الخير .. وأعلمهم الحـــكمة وأرشدهم إلى الطـــريق السوى .. ثم لا تكون مثوبتى وجزائى عنـــد ربك إلا البؤس والحرمان .. فيالتعاسة الأقدار ويالشقاء الحياة ..

ماري	عصمت استغفر .. استغفر فقد كفرت ..

عصمت	مم استغفر يا ماري .. ؟ ؟

ماري	استغفر من ذنبك ..

عصمت	وفى حق من أذنبت .. ؟ ؟

ماري	فى حق ربك ..

عصمت	أوه .. خشيت أن أكون قد أغضبت فؤاد ..

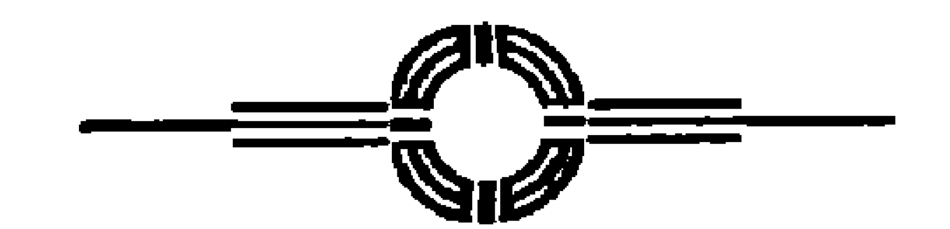
ماري	ومن يكون فـــؤاد هذا . ؟ أهو أكبر من ربك الذى خلقـــك . ؟ حقاً إن الانسان ليطغى أن رآه أستغنى ...

عصمت	لو أنه وهبنى من المال بقدر ما وهبنى من الاحســـاس لأســـعدت الأشـــقياء من عباده ... ولأعطيت كل ذى حق حقـــه .. ولكانت صـــلاتى له سجوداً دائماً وتسبيحاً ...

ماري	دع الخلق للخـــالق فهو أحنى عليهم وأعـــرف بشئونهم منك . وهو يعطى ويمنع وله فى ذلك حكمة وإرادة .

عصمت	عليك بصـــاحبك فؤاد الذى لا قبـــل لنا به إذا غضب

ولا شأن لك بربى الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .. والذى يقول لنبيه ورسوله ، محمداً صلى الله عليه وسلم ، قل لعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً مارى .... إن رحمة ربى التى وسعت كل شىء لن تضيق بى فطيبى نفساً وقرى عيناً



المنظر الثالث

« فؤاد ينظر إلى ماري ويقول وهي تأخذ مكانها منه وتلقي بنفسها عليه »

فـؤاد فيم كنتما تتحدثان أنتِ والأديب عصمت . ؟؟

ماري كنا نتحدث عن ظرفك وأدبك وخفة روحك ..

عصمت هنيئاً لك يا فؤاد بك هذا النعيم إنها تحبك .. تعبدك ترى فيك أملها ومثلهـا الأعلى ..

فـؤاد أنا أحبها كذلك حباً يغمر كيـاني ، ويعصف بروحي ووجداني حباً لم أذق مثله ، ولم أنعم بسواه ..

عصمت إنهـا تعترف بهـذا كله وتقول إنهـا لا تجـد ما تعبر به عن إحساسها نحـوك إلا أن تهب لك قلبهـا خالصاً من دون الناس جميعاً ..

فـؤاد وكم تطلب في هذه البشرى القيمة ..

ماري كأسين من الويسكي بالصودا ..

فـؤاد العبد وما ملكت يداه للوفية المخلصة ماري ..

عصمت واجب علي أنا يا فؤاد بك .. خيرك سابق ..

فـؤاد العفو يا عزيزي ..

فاذا أحضرهـــا «الجرسون» تناول عصمت كأسه وأدناه من فمـــه وهو يــــترنم بقول شاعر النيـــل المرحوم «حافظ ابراهيم بك»

عصمت خمـــرة قيـــل أنهم عصروهـا
من خدود المــلاح فى يوم عرس
مــذ رآهـــا فـــتى العزيز مناما
وهـــو فى السجن بين هم ويأس
أعقبــه الخـــلاص من يوم ضيق
وحبتـــه السعود من بعد نحس

فـؤاد أتعرف من أى البحور هذا الشعر يا عصمت . ؟

عصمت لا يُفتى ومالك ..

فؤاد «فى زهو» فلنقطعه أولا ثم نزنه

خمـــرة قيـ .. ـل إنهم .. عصروها
فاعـــلاتن .. متفعلن .. فعـلاتن

من خدود الـ .. ـملاح فى .. يوم عرس
فاعــلاتن .. متفعلن .. فاعـلاتن

من البحر الخفيف ياخفيف ..

عصمت أنت مدهش .. ألم أقل لك يا مارى إن فؤاد بك علم من علمائنـا الأعلام فى النحو والصرف والعروض ..

فؤاد لقد كنت الأول فى فرقتى والمبرز بين زملائى

عصمت وإذا لم تكن لك الصدارة فلمن تكون . ؟؟

فؤاد علم ولكن .. أين الحظ منه ..

عصمت مغبون طبعاً .. ؟

فؤاد وأي غبن ياعزيزي .. عشرون عاما فى الدرجة السادسة .. فهل سمعت بهذا فى آبائنا الأولين . ؟ ؟

عصمت أنت الذى غبنت نفسك وظلمتها ، فلو أنك أتيت البيوت من أبوابها فصاهرت صاحب معالى أو تقربت من نائب محترم أو جعلت شفيعك الى كبار صغار الموظفين سيدة صالون لأوفيت على غايتك من أقصر طريق ..

فؤاد أتحسبنى قد تركت باباً من هذه الأبواب دون أن أطرقه . لقد شايعت جميع الأحزاب واعتنقت كل المبادىء ولكنى لم أفز منها بطائل لأنى لا أجيد فن الخطابة والألقاء .. فقامرت بآخر ما عندى من مال وعقار وصاهرت موظفاً كبيراً ولكنى لم أكد أدخل بابنته حتى وافاه أجله تاركاً وراءه تركة مثقلة بالديون فرجعت الى زوجى أسألها المعونة كسيدة صالون فإذا بها متأخرة لا تصلح لشىء . فماذا أعمل ياصاحبى . ؟ ماذا أعمل . ؟ ؟

عصمت لو طلبت المعونة من الآنسة مارى لما ضنت عليك بها ..

فؤاد دعنى من مارى التى خيبت الأمل . فقد طلبت اليها أن تكون

واسطة التعارف بينى وبين فتـــاة لطيفة التـكوين مكتملة الأنوثة تتردد على الحان فثـــارت فى وجهى وأرغت وأزبدت مع أنى أطلعتها على الدور الذى ستلعبـــه الفتاة مع مدير مكتب معـــالى الوزير على أنهـــا من ذوى قرباى . فأعرضت ونأت بجانبها وظنت بصداقتى الظنـــون ثم خرجت من ذلك كله بحديث طويل عريض لا أول له ولا آخر ..

ماری كلا .. لم أسىء بك وبغـــيرك الظنون ولـكننى قلت لك الحقيقـــة .. قلت إن لهـــذه الفتاة مأساة دامية لا تختلف فى قليل أو كثير عن قصـــة حياتى ولولا أنها تضع عارها اليوم بالمستشفى لما ترددت فى أن أقصها عليكم

عصمت عليك بقصة هذه الفتـــاة .. فقد تكون قصة المبـاراة التمثيلية ..

ماری لقد عاهدتها على أن أكتم أمرها عن الناس ولو إلى حين . حتى تبرأ من علتها وإنى لموفية لها بما وعدت وعاهدت ..

عصمت دعينا منها ومن قصتهـا وحدثينا عن قصة حياتك فقد تجد فيها فتـاة اليوم عبرة وعظـــة فالعاصفة التى اجتاحت حياتك ليست إلا مقدمة للعواصف التى ستجتاح غيرك من الضحايا ..

ماری على أن تقصها فى الناس على طريقتك فهى قصـــة كل فتاة زلت بها القدم إلى هاوية ما لها من قرار ..

عصمت وأعاهدك على هذا

ماری

قبل أن أقص عليك قصتی أحب أن تعرف أن الكتب التی تؤلفونها قصصاً لا ينتفع بها الشباب ولكنه يقرؤها ليتعرف منها موضع الضعف فی المرأة فيثيره ويهاجمها منه وهذا ما فعله معی ذلك المخلوق الذی أدخل فی روعی أنی الأمل الذی ينشده والمستقبل الذی يرتجيه .. ثم صور لی المستقبل فی صورة مغرية خلابة أخاذة جعلتنی أتخلی عن حشمتی ووقاری الذی تولت عفة النفس حراسته وأقبل منه الكأس .. الكأس الأولی وأتجرعها وأنا لا أكاد أسيغها لمرارتها علی أنها ، نخب ، حب لمستقبل باهر زاهر زاخر بالأمانی الطيبة والأحلام العذاب ..

لعبت الخمر برأسی واستأثرت بجميع مشاعری وحواسی فاستسلمت إليه وسقطت بين ذراعيه .. فافترشنی ما شاء حتی أروی غلته ، وأرضی شهوته ، ثم زال عنی زوال السكينة عن فؤاد الخائف ، وتركنی وقد تقطعت بی الأسباب أسير مع الهم وأستأنس بالوحشة ، أسير بين الناس ولست منهم أنا وفقيدتی التی استنكرت هذا العيش المرير وهی إحدی ثماره ونتائجه وذهبت إلی ربها تشكونی وأنا ... أنا لمن أشكو .. ؟؟

انتظرته طويلا فلم يعد إلیّ ... كاتبته .. استعطفته .. ضرعت اليه بأسم الشقية التی كانت نتاج شقاوتنا فلم يحفل

صم أذنيه ، أغلق دون قلبه ابواب الرحمة .. وأكبر ظني أنه كان مشغولا عني بفريسة أخرى .. فنزحت إلى مصر وتزوجت من غيره ولكنه لم يكن زواجاً متكافئاً ففشل ... ولم يكن لهذا الفشل من نتيجة غير السقوط . هيه .. ألا ترى أنني أعيش فى ظلام وأحيا فى جحيم من العذاب والذكريات ..

أنا غير آسفة يا عصمت على تلك الحياة التى أحياها لأنى قد استطعت أن أنتقم منه فى شخص أبناء جنسه الذين أضحك وأسخر من توسلاتهم ودموعهم لانى أجد اللذة الكبرى فى آلامهم وأوجاعهم ..

أليس رهيباً أن أتحدث مثل هذا الحديث .. إننى أعلم أنه يجب أن أخجل ولكنى لست خجلة فهذه غلطة القضاء وتدبيره وإلا فأى قوة فى الأرض تستطيع أن تعترض القدر أو تقف دون مشيئته .. أنا على استعداد لأن أضحى بالسمع والبصر والفؤاد .. بالبقية الباقية من حياتى . لو كان فى ذلك ما يرد الأقدار إلى الوراء قليلا لأجد نفسى فى أحضان العفة والفضيلة ولكن هيهات ... هيهات ...

عصمت ماري .. أغرقى آلامك فى الكأس التى أمامك فهى وحدها التى تنسيك آلام الحياة ومتاعبها ..

ماري	محال يا عصمت بعـــد أن تيقظ ضميري ولمست يـــدي المذنبة نهايتي المشئومة .. لقـــد فقدت بسببها كل شيء .. عفتي وكبريائي ، ولست أدري أي مصير ينتظرني بعـــد أن ترديت في الهـاوية وسقطت السقطـــة التي لا قيامـــة بعدها لست أدري .. ! لست أدري .. !

فـؤاد	« في غضب » ما لأجل هـــذا الحديث جئنا يا آنسه ... دعي عنك هـــذا اللغو الذي لا خير فيه . وخذي بنا في أسبـاب السرور وإلا غادرت هـــذا « الحـان » إلى غيره .. فقـد هجرت حيـاة المنزل لأن زوجي الـثرثارة تشيـع في أرجائه جواً قاتماً كهذا الجو الـكريه الخانق ...

ماري	أيؤلمك أن تسمع رأيي في الخمـــر التي جـــرت عليّ وعلى غيري الشقاء . ؟

فـؤاد	إنه لا يختلف في شيء عن رأي زوجي الحمقـــاء التي أصبحت تنوء بأعباء الحياة كلها فالمـــاضي تبكيه ، والحاضر تندبه ، والمستقبل تنظر اليه من وراء منظار مقلوب .. فهل انتقلت العدوى منها اليك !. وإلا فمـــا معنى هـــذا الحديث الذي لا آخر له ولا نهاية .. أريد أن أفهم . ؟ ؟

ماري	إنه درس قد تلقيته على الدهر معلم الـكون الأول وستسمعه كارهاً أو طائعاً إن لم يكن اليوم فغداً ..

فـؤاد	لقد تلقيت دروس الحياة كلها على جهابذة أجلاء ولست في حاجة

اليوم لأن أتلقى دروساً أخرى على عاهر مثلك ...

ماري إذن فلم جئت الينا وآثرتنا بمالك على أهلك وعشيرتك . ؟؟

فؤاد جئت لأنتشي خمرة السرور التي أعتصرها بدراهمي من شبابك وحياتك حتى إذا فنيت وتلاشت وأصبحت شيئاً تافهاً لا مغنم فيه ولاغناء انتقلت عنك لغيرك وهذه طبيعة الحب وشريعة الحياة ...

ماري هذا درس آخر قد تلقيته عنك دون أن يكون لك فيه فضل ، وأرى من واجبي أن أتركك قبل أن تتركني ...

فؤاد تتركيني يافاجرة . ؟ أنت التي تقولين هذا .. ؟ ومتى كان لمثلك كرامة حتى تثور وتغضب غضبة الحرائر .. مهلا .. مهلا .. فبصقة واحدة تطفى تلك الثورة المصطنعة ولن أضن بها عليك ..

« ثم يبصق فى وجهها ويخرج فتنظر إلى عصمت وتقول »

ماري أرأيت ياعصمت واقتنعت . . هذا الرجل قبل ساعة من الوقت كان يرتمي عند قدمي ويجد السعادة كلها فى أن آذن له بتقبيلها ..

عصمت لا تقيمي وزناً لهذا المخلوق الأحمق الذى خرج قبل أن يدفع ثمن الشراب الذى لا أملك منه فلساً واحداً ...

ماري أهذا كل ما يهمك من الأمر .. سأدفعه عنك ومن ماله الذي استذلني به واشتراني .. خذ هذا الخاتم وامض به إلى الصائغ .. إرمان وقل له إن ماري ترد اليك خاتمك على أن ترد اليها من ثمنه جنيهاً فاذا تسلمته منه فهو لك خالصاً لتنفقه فى طبع قصة يكون عنوانها « حياة عاهر »

« وتمد اليه يدها بالخاتم فيقبلها ويشد عليها ويرفع بالأخرى كأسه متهللا »

عصمت فى صحة العزيزة ماري ..

« فتنظر اليه نظرة حزينة باكية كلها يأس وقنوط وتسحب يدها فى ذلة واستكانة من يده وتقول وهى تتأهب للقيام لتغادر الحان »

ماري أستودعك الله يا عصمت وأرجو لك فى مستقبل أيامك حياة هادئة مطمئنة ...

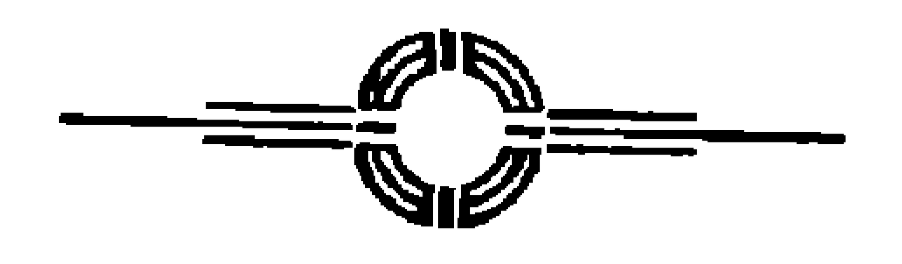
عصمت إلى أين يا غالية .. ؟ إلى أين .. ؟

ماري إلى الدير .. حيث أكفر عن ذنوبى ...

ثم تغادر « الحان » فتسقط الكأس من يده وهو يردد بصوت باك حزين » ...

يشرب الكأس ذو الحجا ويبقي لغد فى قرارة الكأس شيأ
لم يكن لى غد فأفرغت كأسى ثم حطمته على شفتى

بينما الستار ينزل بيطء ...



الفصل الثالث

المنظر الأول

« يرفع الستار عن بيت متهدم فى حى وضيع موحش يحتوى على حجرتين من الطراز العتيق تفصلهما صالة صغيرة لا يستر أديمها سوى مائدة مقفرة من الطعام . صفت حولها مقاعد أربعة .. أما الحجرة التى الى يمين الداخل فمفروشة بسجادة باهتة ذهبت ألوانها وظهرت خيوطها ، وطقم مذهب قد صدىء لونه وتراخت مقاعده . تجلس على أحد أرائكه « رجاء » وقد دب النحول إلى جسمها وسرى الشقاء فى جوانب نفسها .. تعبث يدها النحيلة الهزيلة المعروقة بشعر ابنتها وتنظر اليها من وراء أجفان مقروحة وتقول »

رجاء — أى القصص أحب اليكِ يا ناهد .. ؟ أنا على استعداد — يا قرة العين — لأن أقص عليك أحسن القصص .. ؟ ؟

ناهد أنا جوعانة يا أمى ...

رجاء « تضمها إلى صدرها فى حنان ثائر وتقول » أقص عليك قصة الصياد .. ؟ ؟

ناهد لم أتناول من يوم أمس طعاما فإلى متى .. ؟ إلى متى أنتظر .. ؟

رجاء أم قصة الغورلا . ؟ كم هى مشوقة ولذيذة ..

ناهد أواه يا أمى .. كاد الجوع أن يقتلنى والله ...

رجاء « بصوت متهدج فيه لوعة الأسى وحسرته » أم قصة الرجل الذى قتل أولاده .. ؟ ؟

ناهد أدركينى أولا بشىء من الطعام ثم قولى بعد ذلك ما تشائين ..

رجاء آه يا حبيبتى .. يا ملاكى العزيز .. وحّدى الله ...

ناهد والنبى يا أمى جوعانه .. لقمة صغيرة أتبلع بها ..

رجاء ألا توحدين الله يا ناهد .. لن أقص عليكِ قصتى اللذيذة إذن ..

ناهد « تجهش فى البكاء وتقول بصوت مرتفع » أنا جوعانه أموت يا ربى ... ؟

رجاء وهل الصياح والعويل هما اللذان سيوجدان لك الطعام .. هيا اغسلى الأوانى وهيئيها يا شقية ..

ناهد أو كلما سألتك طعاماً طلبتِ إلىّ غسل الأوانى .

من أى شىء أغسلها يا أماه .. ؟ وهى أنظف من أمعائى ...

رجاء أغسليها من أنفاسك المحرقة .. من شكواكِ التى أزهقت روحى وحطمت حياتى .. رب ماذا جنيت من الذنوب حتى تبتلينى بها وتأبيها .. رب لم أشقيتنى وما أشقيت أحداً من عبادك ..

ناهد أمى .. ما هذه الثورة التى تثورينها علىّ .. ؟؟

رجاء هذه هى نهاية صبرى واحتمالى

ناهد وهل يثمن هذا الغضب أو يغنى من جوع .. ؟؟

رجاء وهل كان البكاء يوما وسيلة مشروعة لطلب الرزق حتى تجعلين من دموعك صوت عذاب يلهب أعصابى ويقض مضجعى .. حنانيك يا ناهد .. حنانيك ..

ناهد إنها اللغة التى أحسنها ..

رجاء ولكنها لغة تفقد مع مضى الزمن معناها ، وأنت لست بطفلة حتى تتكلمين بلغة الأطفال فإلى متى . ؟ سأطرح أمر هذا الخلاف على الناس .. سأحكمهم بينى وبينك ، فاذهبى إلى جارتنا الرحيمة « سعاد » واحتكمى إليها .. اخبريها أنى أمنعك من الطعام ، وأنك تموتين جوعا ..

ناهد أ أشكوك للناس يا أمى . ؟ محال أن أفعل هذا وألف محال ..

رجاء	موتى إذن فلن أسأل عنك حتى تشفع لك جارتنا ..

ناهد	وهـــل كانت شفيعتى اليـــك يوم جئت بى الى الدنيـا . حتى أتشفع بهــا اليوم وأحضرها عنـــد موتى لأشهدها عليـــك أنت التى أتيت بى من الغيب وحملتـــنى فى بطنك تسعة أشهر وغذيتنى بلبنك وحنانك

أمى .. أحسى بشىء يجـــثم على صـدرى ، ويكـبت أنفـــاسى ، وأرى العـــالم يستحيل إلى ظـلام .. لم أعـد أراكِ فأين أنت .. ؟ ؟

رجاء	« تحنو عليها وتقبلها فى حرارة وتقول » ناهد ... أتذكرين من تزورنا فى مثـــل هذا اليـــوم من كل أســـبوع ومعها أطيب الأطعمة وأشهاها ..

ناهد	أذكر يا أمى ...

رجاء	من تظنين يا حبيبتى .. ؟ ؟

ناهد	القديسـة مارى

رجاء	ألا يحسن بكِ أن تنتظرى حتى تحضر ..

ناهد	لقـــد طال أنتظـارى يا أماه حتى أجتوانى اليـــأس وبلغ منى القنوط ...

« فتنظر حولها بعينـــين زائغتين وترق ببصرها إلى السماء أخـــرى كأنها تســـأل الأرض والسماء منفـــذاً تخرج منه وتقول »

رجاء رب ... لمـــاذا تقدر علىّ الشـــقاء .. ؟ وأنا لم أطلب اليـــك أن توجدنى على هـــذه الأرض .. ؟ يا ألهى .. يا من تسمى نفســك عادل رحيما . ما جنـايتى . ؟ ما ذنبى .. ؟ فأنى لا أعــرف لى ذنباً أحاسب عليــه إلا أنى أفنيت عمــرى فى الخشوع والصــلاة لك ... أنا التى تــنزل يد بطشــك وجــبروتك على رأسهــا المنحنى ، وتأخــذ ابنتها بذنبها وهى التى لا ذنب لهـــا إلا أنهـــا أكثر إيمـــاناً بك ممن أســبغت عليهم نعمـك . رب أين رعايتك ؟ أين حمايتك ؟ أين إنقاذك .. ؟ ؟

« وبينما هى تبكى وتنتحب إذا بالبــاب يفتــح فى عنف ويدخــل منه فــؤاد وصاحباه وهو يصخب ويلعن ويقــول »

فـؤاد لي ســاعة وأنا أطرق البــاب . فما الذى ألهـــاك عنى وشغلك عن تلبية ندائى ..

« ترفع رأسهـــا فتجدهم قاب قوســين منها فتنظـــر حولهـــا فى حيرة فلا تجـــد غير خرقة باليـــة تستر بها رأسها وتقول »

رجاء فــؤاد مكانك :. مكانكم يا قوم حتى أســتر وأوارى سوأتى أما كفاكم ما نحن فيه .. أما كفاكم :.

فـؤاد أين ذهبت بالرجل الذى كان معك يا فاجرة .. ؟؟

رجاء أى رجل هذا يا فؤاد .. ؟ ؟

فؤاد الرجل الذى كنت تتحدثين إليه بهـذا الصوت الفاجر الذى لا حشمة فيه ولا وقار ..

رجاء « وهى تتنهد » إنه يسمع ويرى .. سبحانه ..

« ثم تأخـذ يد ابنتها وتخرج وهى تتعـثر فى مشيتها فينظر اليها ويقول »

فؤاد اخرجى فلا ردك الله من سفر

رجاء منك لله حكم عدل بينى وبينك ...

فؤاد « لرفقائه » هـذه الزوج الفاجرة زوجى يا إخوان فهـل عرفتم أو رأيتم فى حياتـكم إمرأة كئيبة شوهاء كهذه المخلوقة القذرة ..

غريب يا رجـل اتق الله .. فليست هذه من النسـاء التى يقال فيها هذا الكلام

« ثم يغمز بعينه لصديقه درويش ويقول »

قـوام أهيف ، قـد ممشوق ، وجـه مشرق ...
وما شاء الله كان .. يزيد فى الخلق ما يشاء . فتبارك الله أحسن الخالقين ...

المنظر الثــــانى

« المعلم درويش وغريب فى حجرة الاستقبـال يستعرضان الموبيليات التى يقدمهـا اليهما فؤاد وهو يقول »

فؤاد هـــذا الطقم الفاخر يا معـــلم درويش من النوع الجيـــد الممتاز الذى يفرش أفخم صـالون على أحدث طراز ..

درويش أنا معـــك فى انه من عشرين ســـنة كان يفرش أفخم صالون أما اليوم فلا أظنه يصلح لشىء من هذا ..

غريب قليل من الطلاء يعيده سيرته الأولى ..

درويش هيه .. وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر .. ؟ ؟

غريب يقولون إنهم فى أمريكا يعيـــدون إلى الشيوخ الشباب . فهـــل كثير علينـــا فى مصر أن نجدد طقماً من الموبيليـات ...

درويش إنهم يفعـــلون هذا لأنهم عجـــزوا عن أن يخلقوا مثـله . أما نحن فنى إمكانتـــا وفى استطاعتنا أن نصـــنع أحسن منه وبقيمـــة أقل عما ينفق فى إصـــلاح شىء تافه كهذا ...

غريب والرأى يا معلم ...

درويش الرأى عندى أنه لا يصلح لشىء غير النار ...

غريب معنى هذا أنك غير مستعد للشراء ...

درويش أنا إن فعلت فمن أجل المساعدة فقط ...

غريب وهو كذلك ، دونك البضاعة ...

درويش وأين هى هذه البضاعة .. ؟ ؟

فؤاد كما ترى .. كنبه وأثنين فوتي ...

درويش أثنين فوتى .. حرام لو تكلمنا بلغتنا العربية .. لغة بلادنا وأجدادنا فسمينا الأشياء بمسمياتها ولكن قد يذهب بك اعتقادك بأن هذه الرطانة قد تزيد فى قيمتها وتخلق من الفسيخ شربات

فؤاد قدّر ظروفى يا معلم درويش وتأكد أن الضرورة .. والضرورة وحدها هى التى تلجئنى الى البيع ..

غريب من المصلحة — يا أخوى — أن نتفاهم ومن رأيى أن يبيع الأخ فؤاد فى الطقم كله ..

فؤاد لو اشترى المعلم أبيع يا غريب ..

غريب ما يقول المعلم فى هذا .. ؟ ؟

درويش وهل لى تجارة غير البيع والشراء .. ؟

غريب لا أدرى ما الذى يثير المعلم علينا ويغضبه منا .. ؟ ؟

درويش يثيرنى ويغضبنى أن البائع منكم لا يفهم طبيعة

الزمن الذى يعيش فيه ، ولا يقدر ظروف التاجر مع زبائنه المدللين ، وكل همه أن يعتصره ويستنزف آخر قطرة من دمه ...

غريب — وهل كلفك فؤاد فوق طاقتك حتي تأخذه بذنب غيره .. ؟ أمامك البضاعة قل فيها كلمتك الفاصلة ، ولنا بعد ذلك أن نحكم لك أو عليك .. فسمى باسم الله الذى لا يضار مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وصلى على نبيه ورسوله المصطفى ...

درويش — وهو كذلك .. صلوا على خاتم الرسل والأنبياء ...

غ . ف — عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم السلام ...

درويش — هذا « الطقم » لا يساوى من النقود شيئاً . ولكنى سأدفع لكم فيه خمسا وتسعين ومائة قرش فما قولكم دام فضلكم فى هذا الثمن الذى لا يجرؤ تاجر غيرى على أن يشترى به ...

فؤاد — كم .. ؟ تقول كم تدفع فى هذا الطقم .. ؟ ؟

درويش — أقول إننى أدفع فى بضاعتك التى تعد من سقط المتاع خمسا وتسعين ومائة قرش فهل سمعت .. ؟ ؟

غريب — التجارة يا فؤاد تحتاج إلى شىء من التأنى وسعة الصدر . فلا تأخذك العزة بالغضب إذا لم يدفع لك التاجر فى بضاعتك ما تريد . بل عليك أن

توافق أو ترفض فى سماحة ورضى ..

فؤاد	على ألا يبخث الناس أشياءهم ..

غريب	فؤاد ... عن إذنك . والكلمة الثانية يا معلم .. ؟ ؟

درويش	هى ما سمعت ...

غريب	لا تنسى أن لنا عندك كلمة ثانية .. فثالثة ..

درويش	هو خيبنا وأخرنا إلا تمسكنا بالكلمة الثانية والثالثة ... لم لا نقتدى بالأجانب فى معاملاتهم حتى لا تخلق من الكلمة كلمات ...

غريب	الأجانب إذا باعوا أو اشتروا كان تقديرهم للأشياء معقولا ومناسبا ..

درويش	وخمسة وتسعون ومائة قرش فى مثل هذه البضاعة ليست كلاماً معقولا ومناسباً .. ؟ حقاً لقد تغفلكم الأجانب ، وبرعوا فى التهويش عليكم . وعرفوا كيف يكسبون ثقتكم ومودتكم يا أشباه الرجال ولا رجال ..

غريب	ولكننا فى كل معاملاتنا قد تعودنا أن نقول وأن نسمع كلمة واثنين وثلاثة ..

درويش	لو كنت أعرف أن هناك كلمة ثانية وثالثة كنت عملت حسابى ، أو كنت سألت — على الأقل — عن البائع من يكون ؟ أنت ؟ أم فؤاد .. ؟

غريب أنا وفؤاد واحد وكلانا ينتظر منك الكلمة الأخيرة ..

درويش لم ننته بعد من الكلمة الثانية حتى تطالبنى بالأخيرة ..

غريب ستضطرنى إلى محاسبتك والرد عليك لخذ حذرك فأنا رجل يكره الغفلة والمغفلين ..

درويش يا غريب .. أنا مقدر مجهودك ، وفاهم من أنت . ؟ فافهمنى كما فهمتك .. ولا تعطل أعمالى ..

غريب الموضوع لا يحتاج منك إلى أكثر من كلمة تقولها .. فقلها ولا تضن بها علينا وستجدنى إن شاء الله من المنصفين ..

درويش مائتا قرش يا غريب بما فى ذلك أجرة الحمال والرجل الذى يخرج من يد الرجال ليس برجل فما قولك .. ؟ ؟

غريب الكلمة الآن للأخ فؤاد ...

فؤاد بعد أن أعرف رأيك أنت أولا .. ؟ ؟

غريب رأيى أن المعلم أشترى .. وأن السعر مناسب وأنت رجل بصير بأمورك وفى غير حاجة إلى من ينصح لك ...

فؤاد ولكن أنى لنا بالحمال .... ؟ ؟

غريب أنت أحق وأولى بالمبلغ الذى يأخذه الحمال ..

فؤاد ماذا تعنى بقولك هذا .. ؟ ؟

غريب أنت تعرف ما أعنى فلا تتجاهل حالتك التى أنت عليها وما أصبحت فيه ...

درويش «مقاطعا» ماذا قلتم يا غريب ...

غريب قلنا بارك الله لك فى بضاعتك ..

فؤاد ولكن أين الثمن أو العربون على الأقل .. ؟

درويش من يسلم البضاعة فى الحانوت هو الذى يقبض العربون والثمن فى وقت واحد ..

فؤاد مدهش ...

درويش المدهش هو أن تجادل فى الأشياء التى لا تقبل الجدل وأنت رجل ظروفك غير مفهومة ، وحياتك يكتنفها الغموض .. أفهمت .. ؟ ؟

غريب لا أدرى ما الذى يمنعك من دفع الثمن مقدما .. ؟

درويش الذى يمنعنى يا غريب أن تكون هذه الأشياء محجوزة لدائن من دائنيه الكثيرين ...

فؤاد لن أطالبك بشىء حتى أسلمك البضاعة فى الحانوت . فهات يا غريب يدك .. اسند علىّ

« لا تكاد الأريكة تستقر على عاتقه حتى يفاجأ بصوت رهيب متهدج يردد اسمه فى الحجرة الثانية فيشيح بوجهه ويقول بلغة الحانق وهو يغادر المنزل »

ماذا تريد الحمقاء من فؤاد .. ؟ سلها يا غريب عما تطلب من حمال ضاقت به الأرض بما رحبت .. ألا تحس ، ألا تشعر ..

غريب « يقول وهو يتصانع الرقة والظرف » ماذا تريدين يا سيدتى . ؟ كلنا فى خدمتك ..

رجاء « ترمقه بنظرة ملؤها المقت والكراهية وتقول » لا أريد شيئاً .. أشكرك ...

غريب ولكن ابنتك فى حالة غير عادية فماذا بها بالله .. ؟

رجاء قد أصابها إغماء مفاجىء ..

غريب إغماء ... لا بأس عليها ...

رجاء أصنع معروفاً وأدركنى بكوب من اللبن ...

غريب أتعنين كوب ماء أو زجاجة نشادر .. ؟ ؟

رجاء إننى أعنى ما أقول .. أعنى كوبا من اللبن يا مسلم ..

غريب « للمعلم درويش » إذا كانت بنت قد أصيبت بأغماء فهل ينضح بالماء وجهها أو باللبن .. ؟ ؟

درويش « وهو يضحك ضحكة ماجنة » اللبن غرام المرأة وغذاء روحها فاذهب اليها وجرب حظك فأن وراء الأكمة ما وراءها ...

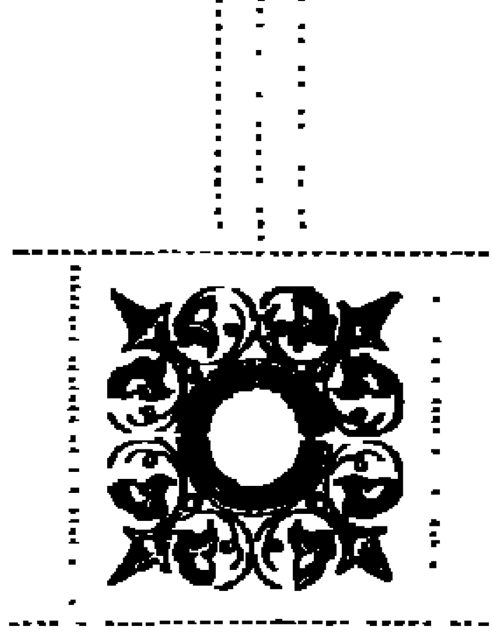
« يهم غريب بالدخول عليها فتصرخ فى وجهه فيرجع على أعقابه ويقول »

غريب لقد اشتبه عليّ غضب المرأة ودلالها ...

درويش لن تظفروا بقلب المرأة حتى تنفقوا مما تحبون

غريب والذين لا يجدون ما ينفقون ...

درويش « يقول وهو يخرج » أولئك عنها مبعدون ...



المنظـــر الثـالث

« تخلـع ماری مسوحهـا وتجلس مع رجاء بعد أن تضع مايدها من طعـــام ثم تنظر إلى ناهد وتقول وهى تمسح على رأسها »

ماری ناهد .. حبيبتی ! ماذا بها . ؟ ؟

رجاء تعبة .. مريضة ..

ناهد لست بمريضـــة بل جوعانة أيتهـا العذراء . لم أتناول من يوم أمس طعاماً ..

ماری هل لذلك من سبب يارجاء . ؟ ؟

رجاء لما ضعفت صحتها واضمحلت رأيت صوناً لها أن أمنعها من الطعام حتى تبرأ ..

ماری وهل استشرت فى ذلك طبيباً . ؟ ؟

رجاء لم أستشر غير تجاربى ونفسى ..

ماری التجارب هنا لا تكفى ، ولا بد من استشارة الطبيب ..

رجاء لا حاجة بنـــا الى طبيب فمرضها عادى .. وعادى جـــداً وفى استطاعتها من الآن أن تأكل كل مايقدم اليها ..

ماری إن ما يبدو على وجهها وجسمها وقواها من شحوب ونحول وإعياء

يحتم علينا عرضها على الطبيب ..

ناهد طبيبى هو هذا الطعام الذى أتيت به أيتها المحسنة الكريمة ..

مارى الطبيب ياصغيرتى هو الذى يقرر لك الدواء والغذاء اللازم ..

ناهد أنا طبيبة نفسى ، وأدرى بها من غيرى ، فأنا إن شكوت فأنما أشكو الجوع وآلامه .. فادركينى بشىء من الطعام فأنتى أموت .. أموت جوعاً ..

مارى ما الرأى يارجاء .. ؟

رجاء الرأى عندى أنك طبيب علتنا وبلسم جراحنا التى أدمتها يد الفاقة .. أنت الطبيب الذى ننتظره ، فابق إلى جانبنا ولا تفارقينا إلى أن يقضى الله فينا قضاءه

مارى رجاء .. إنك أخفيت وتخفين عنى أشياء كثيرة ، وأنا منك ولك فاصدقينى القول يا حبيبتى .. صارحينى بكل شىء ..

رجاء قدمى أولا « لناهد » ما أحضرت من طعام ثم دعينى أدخلك إلى هيكل أوجاعنا وأكشف لك عن حقيقة حالنا وما صرنا اليه من بؤس وذل وفاقة

مارى بدأت أفهم السر فى ازورارك عنا طوال هذه المدة ولكن .. أيجوز لى وأنت فى محنتك هذه أن أعتب عليك لأنك لم تتصلى بى فى الوقت المناسب وتظهرينى على ما خفى من أمرك أو تتركى لى عنوانك على الأقل ...

رجاء حاولت بعد أن فصل « فؤاد » من وظيفته ونضب معين رزقنا أن أعتزل العالم وأن أقطع ما بيني وبين صديقاتي حتى لا تثير رؤياهم في نفسي ذكرى أيامنا الخالية ، وما كنا فيه من يسر ورخاء فاعذريني يا أختي .. اعذريني ..

ماري أنا يارجاء غير من عرفت من الناس فافهميني على حقيقتي وقدري وفائي لك وإخلاصي فلا أمل في الحياة لمثلي ولا رجاء إلا ان أرى الناس في حياتهم سعداء ..

رجاء لن أنسى لك ما حييت تلك اليد التي أسديتها الينا فقد أنقذت ناهد من العدم ، وخلصتها من مخالب الموت .. سيقترن اسمك باسمها دائماً وسيكون لنا في هذا أكبر عزاء وسلوى ..

ماري تحسنين صنعاً بي لو أنك أتحت لي فرصة العمل على إسعادك وإسعاد بيتك ومهدت لي السبيل لفعل الخير فلي كغيري ذنوب أحاول أن أنساها ولكنها لا تفتأ تلاحقني وتطاردني في يقظتي وفي أحلامي ..

رجاء ليس لي بعد أن أرسلك الله الينا . وأنعم بك علينا ، ووفقك لمعرفة منزلنا إلا أن أقول لك في غير خفاء إن فؤاد قد بدد كل شيء ، ولم يبق على شيء . ولولا كرم « عادل » وأريحيته لكنا اليوم في الهالكين ...

ماري عادل ذلك الشاب الظريف الذى يفيض رقة ونبـــلا إنه يحبكم ويعطف عليكم حقاً ..

رجاء وكيف اهتديت اليه .؟ كيف عرفته .؟

ماري إنه هو الذى أرشدنى إلى منزلـــكم هـــذا عند ما رآنى أبحث عنكم وقال إنه تعـود أن يزوركم من وقت لآخر ولم يتأخر عن زيارتكم إلا يوم أمس لمرضـــه .. قالهـــا يا أختى فى براءة وسذاجة فأحببته وأكبرت وفاءه ، وتمنيت عليه أن يزورنى فى الدير كلما واتته الفرصـــة ..

رجاء كان له فينا بالأمس أمـــلا وفى ناهد رجاء أما اليـــوم وقد تجهم لنـا وجه الحياة وعصفت بنـــا ريح الحوادث فلا أمـــل ولا رجاء ..

ماري لا تحزنى ياحبيبتى ولا تبتئسى ففى النـــاس من يغبطك على نعمة الصـــبر والشرف والعفـــة ويتمنى ولو بجـــدع الأنف شيئاً منها ..

رجاء العفـــة ياصديقتى تاج لا يصنـع إلا من الجواهر ، والشرف لا يعمر طويلا فى البيوت الخربة ، والصـــبر لا ينمـو إلا فى أحضان الأمل والرجاء فأين نحن اليوم من كل هذا .؟

ماري حياة كل منا رواية .. مأســـاة لم تتم فصولا فتعالى نتعاون فى صمت حتى نخرج من محنتنا هذه مرفوعى الرأس موفورى الكرامة ورجائى اليـــك يارجاء أن تكتمى أمر زيارتى لك عن زوجك

الذى لا أحب أن أراه ولا يرانى ..

رجاء هيه زوجى .. اطمئنى فهو لا يعود الينا الا فى الهزيع الاخير من الليل جسما بغير روح ، ورأساً بغير عقل

مارى إذن أستطيع وأنا آمنة مطمئنة أن أبدل عندك ثيابى وأستحم

رجاء بكل سرور يا حبيبتى . فقد حللت أهلا ونزلت سهلا ..

مارى ولكن ما رأيك وما قولك فى هذا الثوب الذى أضيق به إذا لبسته أو سرت فيه ..

رجاء إنه كما أرى ثوب جميل رائع لا عيب فيه ..

مارى قد سبقتك إلى هذا القول صديقة ولما أن خلعته عليها وضاقت به اعترفت بأنى كنت مصيبة فى زعمى وها أنذا أعيد معك نفس التجربة جزاء تسرعك فى الحكم على شىء لم تجربيه ..

رجاء إن حياتى أصبحت لا تتسع لأمثال هذه التجارب أما إذا كنت تبغين من وراء هذا شيئاً آخر فانى أعتذر عنه شاكرة ممتنة ..

مارى أكون سعيدة يارجاء لو رفعت ما بيننا من تكليف ، وتقبلت هذا الثوب على أنه هدية أخت لأختها ..

رجاء ولكنى أوثر هذا الثوب الخلق على أى ثوب آخر لانه يتفق وحياتى التى أحياها ..

ماري ولكنى أحب أن أراك فى هـذا الثوب فما قولك . ؟
هيا بنا إلى الحمام لنغتسل سوياً .. لأدلكك وتدلكينى ..
قومى بالله ..

« ثم تأخذ بيدها وتتجه بها إلى « الحمام » وبعد أن تغلق بابه عليهما تخلع ثوبها لرجاء فتلبسه فى خفر وحياء .. وبينما هى تطرى قوامهـا وانسجامها فيه إذا بالباب الخارجي يطرق ثم يفتح فى عنف فتسمع فؤاد يقول لأبنته ناهد فى صوت صاخب »

فؤاد من أين لكما هذا الطعام الشهي ياناهد . ؟ ؟

ناهد إنه يا أبتى من عند الله ..

فؤاد ومتى أمطرتكم السماء دجاجاً وأرزاً وفاكهة .. ثم أين أمك الفاجرة التى كلما سألتها قرشاً أقسمت بأنها قد نسيت شكله ...

ناهد أمي .. فى الحمام يا أبتاه ..

فؤاد حمام وطعام دسم لا بد فى الأمر من شيء .. ومن فى الحمام معها .. تكلمى .. قبل أن يحل عليك غضبي ..

ناهد معها .. معها ..

فؤاد قولى عشيقها .. قوليها صريحة ثم دعيني أنتقم

لشرفى الممزق .. سيكون انتقامي مروعاً ، وقصاصى رهيباً صارماً ..

« ثم يندفع صوب الحمام وهو يرغى ويزبد فيحطم بابه بكلتا يديه وينقض على رجاء كالوحش الكاسر فيراها فى ثوب رائع حانية على جثة أخرى فتثور ثائرته ويهوى بهراوته على أم رأسها فيشجها شجاً فتفزع مارى وتصرخ وتقول فى أنين موجع وهى تجر نفسها من تحتها » ..

مارى لقد قتلتها يا نذل كما قتلتني بالأمس .. لن تفلت اليوم من يدى حتى تلقى جزاءك الحق

« ثم تهم نصف عارية وتقبض عليه وتأخذ بتلابيبه فيتخاذل فى يدها بعد أن يعرفها ويقول وهو يحجب عينيه بيديه » ..

فؤاد مارى .. هو أنت .؟ آه .. سامحينى يازوجي .. سامحينى ..

« يقول هذا بينما الستار ينزل ببطء .... »



الفصل الرابع

المنظـــر الاول

« يرفع الستار عن « صالون » يقطعه رءوف بك
جيئـة وذهاباً بخطوات مضطربة متلاحقـة ، ثم
يقف فجأة أمام زوجه الجالسة على إحدى الأرائك
ويقول وهو ينظر إلى ساعة الحائط فى دهشـة
وحيرة ... »

رءوف يا عجبـــا ... ! السـاعة تدق الثامنـــة ولم يحضر عادل كعادته بعد ... ؟ ؟

احسان والطعـــام له أكثر من نصف ساعة على المـــائدة ألا يحسن أن ...

رءوف « مقاطعاً » الذى يحسن هو أن ننتظر حتى يحضر ...

احسان إذن أشير على الخادم بأن يرفعه حتى يحين وقته .. ؟ ؟

رءوف لا شأن لى بهـذا .. أما الذى يهمنى من الأمر كلـه . فهو أن أعرف علة هذا التأخر ...

احسان قد تجده الآن فى نادى حزبه ثائراً على الحكومة القائمة ناقماً عليها ، لأنها تناهض حزبه الذى ينتمى اليه . . .

رءوف أحس يا إحسان أن بلادنا تعانى شقاء فى حكوماتها وأحزابها وعظمائنا وطوائفها وأفرادها ، بل أكاد أشعر أنها تشق بمجدها التالد ، وتنوء بتاريخها الحافل ، كما أحس أنها تعانى شبه مجاعة فى الأخلاق . فلله الأمر من قبل ومن بعد . .

احسان لطف الله بهذا البلد التعس الشقى بأبنائه وهيأ لنا من أمرنا رشدا . .

« وفى هذه اللحظة يدخل عليهما عادل ويحييهما تحية المساء وهو ينحط فوق كرسيه تعباً منهوك القوى ثم يخرج منديلا يجفف به عرقه فيلتفت إليه والده ويقول »

رءوف لقد غيرت السياسة من طبعك يا عادل . وأثرت فى أعصابك وأنهكت قواك فالى متى . . ؟ إلى متى يا ولدى تظل فى ذهولك وإطراقك . ؟ هب أن الأزمة السياسية طال عليها الأمد ، وتعقدت أمورنا أكثر مما نرى ونقدر . . . فهل معنى هذا أن تظل حزينا مكتئبا تجاهد الحياة ، وتضرب فى

بيداتها وحدك . بينما غيرك يكسب وينتفع من
أقصر طريق .. أنا لا أقول لك تنكر لمبدئك
أو اخرج على حزبك كما يفعل المستضعفون .
ولكني أطلب اليك أن تكون شريفاً فى خصومتك .
نزيها فى حكمك ، عف اللسان فى نقدك .. هادئاً
متزناً فى نقاشك ، ثم عليك نفسك لا يضرك من
ضل إذا اهتديت ..

عادل لا أحسب حادثاً من حادثات السياسة هز نفسى ،
وأثر فى أعصابى تأثير هذا الحادث الجلل الذى نزل
بصاحبك فؤاد . لقد حطمت الخمر حياته وأتت
على بنيانها من القواعد ..

رءوف وهل كنت تقدر لرجل مثل فؤاد مصيراً غير
هذا .. ؟ أسرف المسكين فى شرب الخمر ، وأتلف
كل شىء وصلت اليه يده . فكان طبيعياً ...
وطبيعياً جداً أن يفصل من عمله فيلفظه المجتمع
ويمسى ويصبح غريباً بين أهله ووطنه .. فما أشد حماقة
المرء فى شبابه ...

كنت أمده من وقت لآخر بما يزيد
عن حاجتى . ولكن للأسف لاحظت أنه ينفقه على
الخليعات والبغايا . فأمسكت يدى عنه ، وأغلقت

باقى دونه . فانقطعت عنى أخباره ، ولم أعد أسمع عنه شيئاً . فما وراءك . ؟ فقد كان زميلنا فى العمل وللزمالة حقوق وواجبات ...

عادل توجهت اليوم إلى محكمة الجنايات لأترافع فى قضية من القضايا ، وبينما أنا اجتاز قاعة الجلسة لآخذ مكانى بين زملائى المحامين .. وقع نظرى عرضاً واتفاقا على ابنته وهى تبكى وتنتحب ، ولما كنت أعرفها من الصغر سألتها عن علة بكائها وسبب وجودها فى هذا المكان .. فأشارت بيدها إلى قفص الأتهام وقالت بصوت حزين باكٍ تمزقه الأنات والزفرات . هذا الذى تراه بين القتله والمجرمين هو أبى ، قد اقترف جريمة بشعة مروعة .. جريمة لا يقدم عليها ولا يفكر فيها إلا رجل فقد عقله وعاطفته ... ثم أخذت تبكى فى صمت ، فحاولت أن استخلص منها الحقيقة كاملة فلم أظفر . فتركتها مؤقتاً وتقدمت من منصة القضاء وأديت واجبى عن موكلى ، ولست أقطع على أى وجه أديته . ولكن ما أذكره أننى ظفرت له بالبراءة .. ولم أشأ أن أغادر المحكمة حتى أعرف مصير هذا الرجل الذى أرتبط مصير أسرته بمصيره .. فانتظرت حتى جاء

دور قضيته ، وقبل أن يسأله الرئيس عن شيء تقدمت من غير سابق تفكير ، وأثبت وكالتي عنه ، وطلبت التأجيل إلى آخر الجلسة حتى أطلع على دوسيه القضية وأدرسها فأجابني إلى طلبي ، وأتاح لي بذلك فرصة الدفاع عن رجل صورت له الخمر أن زوجه قد خانته ، وغدرت به فقتلها وشرع في قتل إمرأة أخرى كانت معها في الحمام ولم تتم الجريمة لأمر خارج عن إرادته ...

كانت مهمتي شاقة لأني لم أجد ما أقوله في تلك المأساة الدامية إلا أن ألقي تبعة هذه الجريمة المروعة على الخمر وحاولت أن أثبت أن ركن الجريمة ودعامتها وهو سبق الأصرار والترصد غير متوفر بل ومعدوم ودللت على ذلك بأن السكير والمجنون في الجرم سواء . كلاهما فقد عقله فهو غير مسئول عما يفعل .. ولكن الرئيس لم يأخذ بوجهة نظري وقال إن المجنون رجل أعمى يسير في حياته على غير هدى . فكل عثراته غير مسئول عنها . أما السكير فرجل قد أغمض عينيه بيديه ثم راح يفعل الكبائر في غير تأثم أو تحرج . فهو مسئول عما يفعل مأخوذ به معاقب عليه ...

ثم أصدر حكمه عليه بالسجن سبعة أعوام ...

فأعولت ناهد وقالت بصوت زلزل نفسى وهد كيانى . لمن نلجأ بعدك يا أبتاه وكيف نعيش ... لحزت هذه الكلمات فى كبدى وعزمت بينى وبين نفسى على أمر لم أشأ تنفيذه حتى أرجع اليكم فيه . وما أحسبكم فى رحمتكم تعارضون فى إيواء ضحيتين لاسند لهما فى دنياهما ولا معين ..

رءوف لو أنك أتيت بهما من فورك لكنت أحسنت الأحسان كله ، وفى استطاعتك الآن أن تفعل ...

احسان أرى أن تتريثا قليلا قبل أن تقطعا فى هذا الأمر برأى . فأن لهذه الفتاة أخا هو صورة مصغرة من أبيه ...

رءوف علينا أن نعالج فيه هذا النقص ، وأن نرشده إلى الطريق السوى . فأن اهتدى فلنفسه وإن أساء فعليها ...

احسان قد يخلق لنا هذا الولد مشاكل نحن اليوم فى غنى عنها ..

رءوف الرجل الذى يلقى بنفسه فى النار أو فى اليم لينقذ من الهلاك غيره ، إنما يخاطر بنفسه . ولكنه الواجب لا ينكل عنه ولا يتحلل منه الا رجل تجرد

من رجولته وشهامته ...

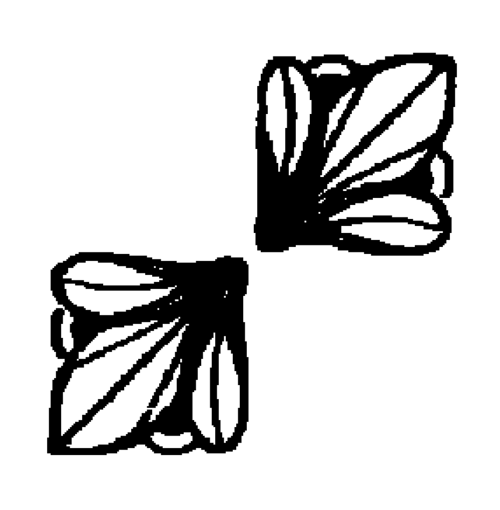
احسان	ولكن قلبي يحدثني وهو لا يكذب ولا يضل بأن هذا الولد سيكون خطراً علينا ...

رءوف	عادل . إن لأمك خيالا خصباً وتنبئات قد تنتهي بنا وبالعالم إلى حرب طاحنة وفناء سريع عاجل . فلو أننا أوسعنا خيالنا لفروضها لهلك الطفلان قبل أن نصنع لهما شيئاً . قم يا ولدى وأطلبهما فى كل مكان حتى تظفر بهما ...

« فيقوم عادل وأثر الرضا والاغتباط واضح فى قسمات وجهه ، ويغادر الصالة ووالده يقول وهو يستودعه الله »

رءوف	سنضيف الى مائدة العشاء كرسيين لضيفين عزيزين فابذل همتك وكن أخا نجدة ومروءة ...

ثم يمد يده الى زوجه « احسان » ويتكىء عليها ويخرج ...



المنظر الثـــانى

« تدخل ناهد إلى الصالون فى زى خادم وبيدها منفضة من الريش تنظف بها أثاثه ، حتى إذا دقت ساعة الحائط أمسكت عن العمل ، وأخذت تعد دقاتها ثم تتجه صوب غرفة النوم فى خطوات رزينة متئـــدة وتقول بصوت موسيقى عذب »

ناهـد سيدى .. سيدى عادل الساعة تدق التاسعة ...

« فيعتدل فى سريره ويقـــذف بيـــديه جانبـــاً وأعلى ليستعيد نشاطه ، وينبـــه أعصابه ثم يتثاءب ويقـــول وهو يفرك عينيه »

عادل ناهد .. صباح الخير ...

ناهـد صباح الخير عليك يا سيدى ...

عادل أوه يا ناهد .. ألم أقـــل لك أكثر من مرة إن كلمـــة « ســـيد » هذه من أبغض الكلمات إلى نفسى ، وأثقلهـــا على سمعى ..

ناهـد وماذا أقـــول ياسيدى إذا أنا أحببت أن أنادى عليـــك أو

أخاطبك . ؟ ؟

عادل	تنادينى باسمى مجرداً كما أناديك ..

ناهد	إن شفتى لا تطاوعانى ..

عادل	عوديهما فإنى لا أطيق أن تنادينى كما تنادين شخصاً غريباً عنك ...

ناهد	ولكن لسانى قد مرن عليها فماذا أعمل . ؟ ؟

عادل	حاولى نسيانها ومحوها من سجل حياتك لأنها تؤذى سمعى ، وتباعد ما بينى وبينك ، وأنت الأمل الذى أنشده والمستقبل الذى أرتجيه ...

ناهد	وكيف أنسى كلمة امتزجت بحياتى وسرت فى أعصابى مسرى الدم ..

عادل	بما أنى صاحب الحق الأول والأخير فى هذه الكلمة فإنى أمنعك من أن تقوليها أو تحركى بها لسانك ، أما إذا كان اسمى قد ثقل على سمعك إلى هذا الحد ، فإنى أنصح لك أن ترديه مثنى وثلاث ورباع حتى يحلو وينسجم .. ولن تجدى فى ذلك مشقة ، ولن يكلفك عسيراً أن تنادينى باسمى المركب من ثلاثة أو أربعة أحرف ليس بينها حرف ناب يمجه السمع أو يستعصى على اللسان ، فهاتى يدك .. عاهدينى على أن تنادينى باسمى كما تنادينى أختى وغيرها من الناس ..

ناهد	لكن يا سيدى ..

عادل أخرجى « سيد » هذه من الموضوع فليس للعالم إلا سيد واحد نحن كلنا عبيده ، واهتفى باسمى إن كنت راضية عنه .. أسعدينى يا ناهد ، وأرينى كيف يجرى اسمى على لسانك ..

ناهد يا ... إف .. رب ماذا أقول . ؟ ؟

عادل قولى يا عادل .. هل لى اسم غيره . ؟

ناهد سيدى لا أستطيع ..

عادل قولى بالله .. قولى معى يا .. عا .. دل ..

ناهد « وهى تذوب حياء وخجلا » يا .. عا .. دل ..

عادل « فيقول بصوت خافت » ما أحلى هذا النداء .. ما أجمله ، وهو ينحدر من بين هذه الشفاه الرقيقة القرمزية ..

ناهد هل سيدى يكلمنى . ؟ ؟

عادل « يقول وهو يرنو اليها بنظرات تتلاشى عطفاً وتضطرب غموضاً » آه أكلمك ياناهد .. أكلم روحى ..

ناهد « فى ابتسامة وادعة » نعم ...

عادل هتف الكثيرون باسمى وفى مقدمتهم والدىّ وأختى ، ولكني لم أجد لندائهم تلك الروعة التى أجدها وأحسها فى ندائك .. أحس أن الملائكة هى التى تناديني وتهتف بى

ناهد أوه يا سيدى ..

« ثم تهم بالخروج فيعترض طريقهـــا ويقول وهو يشد على يدها فى حرارة »

عادل	تعرفين كم أنا أحب أختى لأنها لا تناديني إلا باسمى ..

ناهد	ليس فى العالم كله حب خالص كحب الأخت لأخيها ..

عادل	يوجـــد فى النـاس من أحبـــه أكثر من أخـــتى ... أعبده وأتمـــنى لو يحس إحســـاسى فيرق ويرحم مضني مدلهـا فى هواه ...

ناهد	« وقد أدركها الحياء والخجل » عن إذنك يا سيدى ..

عادل	إلى أين يا حبيبتى . ؟ إلى أين يا ناهد . ؟؟

ناهد	إلى أعمال المنزل الكثيرة التى تنتظرنى ..

عادل	وهـــل فى المنزل ما يستحق عنايتـــك واهتمامـــك أكثر منى يا ناهد . ؟؟

ناهد	أبداً ياسيدى والله ولكنها الأوامر ، فلو تركت لنفسى لقصرت خدمتى عليك وكنت سعيدة بذلك ..

عادل	إذن فلم تتركيننى ولى معك حديث يطول . ؟؟

ناهد	لأن سيدتى قد أمرتنى أن أوقظك وأعود اليها سريعاً ..

عادل	« فيندس تحت لحافه ويقول » ومن قال إننى صحوت . ؟؟

ناهد	الله .. سيدى نام ثانية ..

عادل	وهل أنا صحوت . ؟؟ أنا لم أصح بعـــد .. أنا فى حلم لذيذ لا أحب أن استيقظ منه ...

ناهد « وهى تضحك » طيب من الأول أُصَحُ يا سيدى ..

عادل « يعتــدل فى سريره ويقــول » والنبى يا ناهد تنـاديني باسمى كما أنادى فى يقـظتى وفى أحـلامى من أحبه وأهواه ...

ناهد أنا إن قلتهـا بينى وبينـك لا أجرؤ أن أقولها أمام النـاس حتى لا يقـولوا إننى خـادم لا تعـرف واجبها نحو سيدها وولى نعمتها ...

عادل ومن قال إنك خادم يا ناهد .. ؟ ؟

ناهد طبعاً خادم .. وهل فى هذا شك أو خلاف .. ؟ ؟

عادل المأثور عن أسرتك أنها كانت من أكبر الأسر وأعرقها فى النسـب .. فأنت لست بنكرة ولا مجهـولة الأصـل ، وإنمـا أنت من شجرة طيبـة أصلها ثابت .. ؟ ؟

ناهد هيه . .. إنما أصل الفتى ما قد حصل ..

عادل لا لا .. لا يمكننى أن أسمـع كل هـذا وأسكت عنه .. إن العذاب البشرى له حـدود .. ونـكران الذات كذلك .. فحذار . ثم حذار ..

ناهد سيدى .. سيدى ...

عادل « يبتسم ابتسـامة حزينة ويقـول » إننى لا أريد أن تكونى تعسـة ... أو شـقية فى حيـاتك لأنك

ستكونين زوجي ... زوجي العزيزة ... وهذا عهد الله وميثاقه ...

« ويحاول أن يأخذ يدها بين يديه ولكنها ترجع خطوة إلى الوراء رافضة ذلك بحركة طبيعية وهي تقول له بلهجة الرجاء »

ناهد سيدى ... إنى أمنعك ...

عادل أمنعيني عما شئت يا ناهد .. ولكن لا تمنعيني عن إجراء كل شيء في سبيل الحصول عليك . فأنت لب الحياة ، وجوهر النفس ، ونبض القلب . أنت ملاكي الطاهر .. فهاتِ يدك وعديني وعداً صادقاً بأن تجيبيني في صراحة وإخلاص عما أسالك عنه ... ؟ ؟

ناهد إنى لا أعد بشيء .. ولا أرتبط بأى إيمان . لأنى لا أملك يا سيدى .. لا أملك ..

عادل لا تملكين .. نعم لا تملكين .. لأنه ليس فى استطاعتك ولا فى مقدورك أن تهى قلبك لأكثر من واحد .. فأنتِ تحبين غيرى وتحافظين على عهده وميثاقه فما أسعده وأشقاني . الآن ... أدركت الحقيقة المرة المؤلمة ، وعرفت السر فى أزورارك عنى ، وفرارك من بين أحضانى ...

ناهد « تلقى بنفسها بين أحضانه وتتشبث به وتقول » عادل ..
عادل ... سيدى ...

« يفتح لها أحضانه ويضمها إلى صدره في حرارة ، ويغمر شعرها وعينيها وشفتيها بقبلاته ويقول »

عادل إنك تحاولين كثيراً أن تدعى غير ما تعتقدين ..
فأنتِ تحبينني .. إنني أرى ذلك وأشعر به . يا حبيبتى يا ناهد ...

« وفى هذه اللحظة تدخل أمه ثائرة مهتاجة وهى تقول »

احسان لقد طردته من منزلى ، وتخلصت منه . بعد أن ذاع وشاع أمره وعرف الخاص والعام ، أنه يسرق الأثاث ويبيعه بأبخث الأثمان ليسكر ويعربد ... لقد صحت نبوءتى ... وصدقت فراستى فيه . فأين زوجى وولدى ليسمعا

أمرتهموا أمرى بمنعرج اللوى
فلم يستبينوا الرشد الأضحى الغد

فتهب ناهد واقفة ويعود عادل إلى سريره بعد أن يدرك أنها قد رأتهما ويقول وهو يحاول إصلاح موقفه

عادل ما الذى يغضبك يا أمى ؟ ويثير أعصابك هدئى من

روعك فالأمر أيسر وأهون مما تظنين ...

« فتشيح بوجهها عنه وتنظر إلى ناهـد نظرة مذيبة قاتله وتقول »

احسان أخرجي من داري قبل أن يستفحـل الداء ويستعصى الدواء . فأنتِ شر من أخيـك ، وأشد خطـراً .. أخرجي يا فاجـرة فقد ضربتِ أسـوأ الأمثـال فى نـكران الجميل وجحود النعمة ...

عادل إلى أين تخرج ناهـد .. ؟ ؟ إلى أين يا أمى .. ؟ ؟

احسان إلى حيث يطيب اللهـو والمجون يا أسـتاذ .. يا رجل القانون ...

عادل وكيف تخرج ناهـد قبل أن نأخذ رأى أبى .. ؟ هـذا لا يمكن مستحيل .. مستحيل ...

احسان إذن دعها تمسح البـلاط حتى يحضـر والدك الذى لا يرضى بحـال بهذه الشـنائع التى تمثـل بمـنزل لم يدنس بريبـة ، ولم ترق إليـه شبهة من يوم أن دخلتـه ...

عادل ناهـد تمسح البـلاط ؟ من يرضى بهـذا الأجحاف ؟ وهذا الظلم الصارخ . ؟

احسان إذا كنت تعتقد أن الخادم تصلح لغير هذا فأنت رجـل لا تحترم نفسك

« وفى هــذه اللحظة يدخل رءوف بك ويقول وهو يتصفح الوجوه »

رءوف ما الخبر .. ؟

عادل لم تكتف أمى بطـرد حسنى المسكين . فجـاءت تطلب إلى ناهـد أن تمسح البلاط .. فما معنى هـذا الأذلال ؟ وهى بنت المجد والسيادة ..

رءوف « لإحسـان فى غضب » هيـه .. لا تتعبى رأسـك الصـغير فى أفـكار لا قيمة لها ، واتركى الأمور تجـرى إلى غايتهـا فكل ميسر لمـا خلـق له .. وناهـد لم تخلق لمثـل هـذا . وأنت أعـرف الناس بذلك ..

احسان أظن أن من حق أن أدير شـئون بيتى عـلى طـريقتى ، وأن ألفت الأسـتاذ إلى واجبـه إذا رأيتـه يقارف أشـياء تتنافى مع طبيعة مركزه ..

رءوف اتركيه لنفسـه يدير أمرها ، ويدبر شـئونها على طريقته ولنا أن نرقبه عن كثب

احسان حتى فيما يتصل بحياته المستقبلة كزوج ورب أسرة .. ؟ ؟

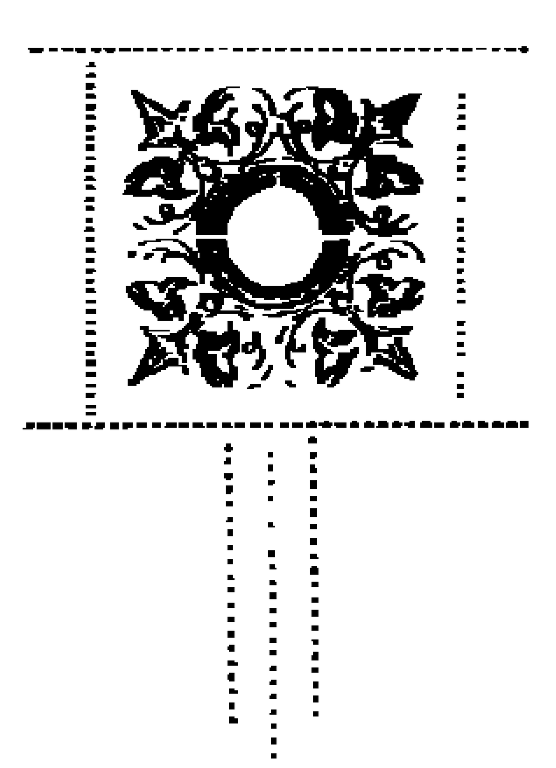
رءوف من مبدئى أن يـترك الولد وشـأنه فيختار العمـل الذى يحسـنه . والزوج التى توافقه وتلائمه ..

« يعجـز عادل عن أن يضبط شـعوره فيخرج

بينما أمـــه تقول ،

احسان لقـــد تسرعت .. وتسرعت تماماً يا رءوف . فالظـرف لم يكن ملائماً لمثل هذا الـكلام

رءوف « يربت على كـتفهـــا ويقول وهو يخـــرج » نعم تسرعت ولـكن ... إلى الحقيقـــة فلو أنتى أخـــذت رأى والدىّ فى زواجى يا إحسان لما كنتِ اليـــوم زوجى ، ولتغير وجـه التاريخ ...



المنظر الثالث

« يدخل رءوف بك الى الصالون وقبل أن يستقر فى مقعده تقبل عليه زوجه إحسان وتقول بصوت ناعم طروب »

احسان بشرى سارة يا رءوف فماذا أعددت لها .. ؟ ؟

رءوف أعددت لها القبل

احسان « تدنى خدها من فمه وتقول » عليك بمقدم الأتعاب ..

رءوف « يقبلها ويقول » بل الأتعاب كلها مع الفوائد .

احسان « تربت بيدها على كتفه ثم تجلس إلى جانبه وتقول » لم تسألنى طبعاً عن السبب الذى خرجت بالأمس من أجله دون أن استأذنك ولم أشأ أنا من جانبي أن أثير هذا الموضوع أو اعتذر عنه حتى أحيط به من جميع جهاته ثم ألجأك به فهبنى أذنك الصاغية .. وافتح صدرك للسعادة المقبلة .. تنفس ملء رئتيك .. فقد آن للمحزون أن يفرح ...

رءوف حواسى كلها معك يا غالية فما وراءك .. ؟ ؟

احسان زارتنى بالأمس صديقتى المخلصة « أنصاف » هانم وقصت علىَّ فيما قصت من أخبارها الطريفة الشيقة ما تعرفه عن فتاة عصرية مكتملة الأنوثة تجيد أكثر من لغة رفضت فى إباء يد الكثير من الشبان الذين تقدموا لخطبتها مع أن منهم من يشغل مركزاً حكومياً ممتازاً ... ولما أن سألتها عن السر فى ذلك قالت إنها تبحث عن الأخلاق .. عن الرجل فإن وجدته رفعه والدها — وهو وزير سابق ونائب مستقل إن كنت لا تعرف — إلى أكبر المناصب وأعلى الدرجات .. فطلبت اليها باسم الصداقة أن تخطبها لعادل ، وأن تكون واسطة التعارف بيننا ، فأفهمتنى أن لها على هذه الأسرة دالة ، ورأياً محترما ، وشفاعة لا ترد .. فما علىَّ إلا أن أصحبها لأرى بعينى ، وأسمع بأذنى حتى أكون من أمرى على بصيرة .. فأكبرت فيها هذه الصراحة وقمت من فورى ودخلت فى ثيابى ومضيت معها إلى منزل العروس ... عروس عادل . وهناك رأيت دنيا قائمة .. عالماً يفيض بالسرور ويزخر بالسعادة .. جنة باسمة نضرة فيها ما تشتهيه

الأنفس وتلذ الأعـــين ...

رءوف وماذا رأيت فى جنتك هذه .. ؟ ؟

احسان رأيت فيهـــا مالا عـــين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطـــر على قلب بشـــر .. رأيت الخـــدم والحشم يا رءوف فى أزيائهم الخاصـــة ونظامهم الدقيـــق المحكم الذى يثير الفضول والأعجاب . فهـــذا يفتح لك العربة ، وذاك يعاونك عـــلى خلع معطفـــك ثم يســـير بين يديك إلى بهـــو عظيم تتصـــدره ســـيدته الـــكبيرة المحـــترمة ... ربة البيت التى تؤنســـك وتأسرك برقة حديثها ونـــكاتها الحية المنعشـــة التى تضحك الثـــكلى ، حتى تشـــعرك بأنك فى بيتـــك وبين أهـــلك ... ثم هى ذات شخصـــية قوية نبيـــلة يشع ضـــوء ساحر خـــلاب من جواهرهـــا الثمينة فيضىء وجههـــا الصبوح الآسر النـــاعم التقاطيـــع .. آمنت بأن المال هـو الذى يصـــنع الجمال ويخلق الســـعادة ... فاللهم اجعلنا من الصـــابرين ...

رءوف لا تضـــلى هذا الضـــلال البعيد . فالغنى فى القنـــاعة ، والســـعادة فى الرضـــا . وإن لله عبـــاداً قانعين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ...

احسان آمنت بك ربى .. أضـــلالا وكفراً أن أتحـــدث

بنعمة الله على أسرة سنصاهرها ...

رءوف والعروس يا إحسان ما رأيك فيها .. ؟ تكلمى فى صميم الموضوع ...

احسان العروس ... ابنة المجد والسيادة ، ابنة الغنى والعلى ، ابنة الوزير السابق والنائب المحترم الذى انتفع الكثيرون بجاهه .. والذى يملك من العقار والمال ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولوا القوة ...

رءوف لقد نسيت الحكمة من زواج عادل فرحت تبحثين عن الجاه والمال ، وغاب عنك أننا نكمل له دينه لا دنياه ...

احسان ما أجمل الدين والدنيا إذا اجتمعا .. ؟ ؟

رءوف إذا أجتمعا ... فإذا لم يجتمعا .. ؟ ؟

احسان خرجنا من الموضوع ...

رءوف عودى بنا اليه وليكن حديثك مقصوراً على أخلاق العروس وجمالها ...

احسان قالوا إن لها رقة أمها ، وأثالة خدها ، وأنفها الأقنى ...

رءوف قالوا .. ! من هم الذين قالوا .. ؟ ؟

احسان صديقتى ، أنصاف ، ومن حضر من السيدات

يا رءوف .. لى الله من أسئلتك ...

رءوف وما الذى حال بينك وبين رؤية العروس التى من أجلها خرجت .. ؟ ؟

احسان خروجها إلى ميدان السباق ...

رءوف آه ... أهى من رواد السباق وعشاقه ...

احسان قالوا إن يدها لا تمتد إلاّ إلى النمرة الرابحة والجواد الرابح .. فإذا راهنت على جواد أيقن جميع النظارة أنه هو الجواد الرابح وراهنوا عليه فيكسبون ...

رءوف حسن ولكن .. أهذه كل أخبارك عن رحلتك الميمونة .. ؟ ؟

احسان ولم يبق إلا أن أستطلع رأيك ...

رءوف رأيى هو ما يراه عادل لنفسه فاسأليه ... فهو صاحب الرأى الأول والأخير ...

احسان « تضرب كفاً بكف » إن كنت من رأى عادل فقد ضاعت الفرصة ، وتحطم ما بنيت من آمال ... فلا حول ولا قوة إلا بالله ...

رءوف هل أستطلعت رأيه .. ؟ ؟

احسان وعرفت اتجاهه من زمن بعيد . وحاولت أن أصرفه عنه فلم أفلح ، وذهب كل مجهود بذلته أدراج الرياح ...

رءوف أيجوز لى أن أعرف هذا الاتجاه .. ؟ ؟

احسان هيـــه ... إنه يريد أن يتزوج يا للعـــار ....
يا للعـار ...

رءوف لو كان فى الزواج شىء من العار لما قضى به الله ..
فما معنى هذا . ؟

احسان إنه يريد أن يتزوج زواجـــاً شرعياً يجتمع له الناس
من ناهد ... أرأيت .. ؟ أسمعت .. ؟

رءوف ومن مؤازريه ومعاضـــديه والداعين اليه بعد أن سمعت
عن رحلتك ما سمعت ...

احسان كنت أحسبك ســتغضب .. ستثور لــكرامتــك
فماذا بك تقابل الخـــبر الذى سيضحـــك الناس منـــه ،
ويتندرون به فى مجـــالسهم بفتور يقتـــل العـــزة
والـكبرياء ...

رءوف ماذا يعنينا من ضحكهم .. دعيهم يضحـــكون ويهزون
رءوسهم حتى تســـقط من بين مناكبهم . هل يشـــعرون
بما نشـــعر أو ذاقوا بعـــض الذى ذقنـــا .. ؟ ماذا يهمنا
من أمر هذا العـــالم مادام ولدنا سينعم بشريكة حياته ،
ويجـــد فى أحضـــانها لذة الراحـــة ، ويتذوق فى كنفهـا
طعم السعـادة ، ويرى فيهـا الضالة المنشودة ، والأمنيـة
المشتهاه ...

احسان وهل سفلت آمالكم إلى هذا الحـــد حتى أصبحت الخـادم

ضالتكم المنشودة . وأمنيتكم المشتهاه

رءوف	الرجل الذى يرفع خادماً إلى مقام الزوجية أفضل عندى من ذلك الرجل الذى ترفعه زوجه إلى درجة أو تأتى له بعلاوة بعد أن تلوث شرفه وسمعته ...

احسان	حتى ولو كانت من بيئة قذرة .. ؟

رءوف	لم تكن ناهد كذلك ولولا حماقة والدها لكنت أول من يسعى لخطبتها من أبيها ... ثم أية وردة خلت من الأشواك

احسان	أنسيت أنها أخت حسنى الفاجر العربيد ..

رءوف	أنا لا أجد فى الرجل ما يعاب عليه . ولا أجد فى نفسى ما يحملنى على سوء الظن به أو احتقاره ولكنى آخذ عليك أنك طردته من المنزل قبل أن ندبر له عملا وبيتاً يأويه ...

احسان	لأنك لا ترى أبعد من طرف أنفك ...

رءوف	لقد عدت إلى طيش الصبا ونزقه بعد أن بلغت من العمر أرذله ...

احسان	ماذا تقصد من وراء هذا اللغو الذى سأمر به مر الكرام .. ؟ ؟

رءوف	أنت تعرفين ماذا أقصد .. فأنتِ لا تجهلين أن

الغضب لا يكسب المــرأة حقاً . وأن العنف والحقيقــة لا يؤثر أحدهما فى الآخر..

احسان رءوف ... إن لي طبعــاً حاداً فقد أثور فى بعــض الأحايين فلا أكاد أضــبط شعورى فأهب هائجة أكسر الأشياء وأقذف الأوانى ...

رءوف « يضحــك ضحكة عاليــة ويقول » لا يهمني هــذا ما دمت تقــذفينها بعيداً عن وجهى .. وبعد فلمــاذا تحمــلين على هــذا الشاب البــائس التعس هذه الحمــلة الشــعواء . وأنتِ تعــرفين أنه صورة مصــغرة من أبيه الذى يعــد بطلا فى اللهــو والعبث ، والذى كان يتمتــع بثروة لا بأس بهــا من حسن ظنك ...

احسان لأنى أعرف من أخباره ما تحمر منهــا أصفق الوجــوه خجلا . . .

رءوف ولكننا لا نستطيع أن نقــول فى ناهد مثــل هذا أو بعضــه . لأنها فتاة هادئة الطبع ، طيبــة القلب ، كريمة العواطف ..

احسان إن الله لم يــترك على الأرض شــراً من أخيهــا حسنى الذى يسرق كل ما تمتــد اليه يده .. يا حفيظ يا رب . . .

رءوف « يقــول وهو يغــرق فى الضحك » ســبق أنى اتفقت

مع حسنى على أن يبيعنا الأشياء التى يسرقها من المنزل لأننا أعرف بقيمتها من غيرنا . ولكنه رفض أن يتعامل معنا فى بيع أو شراء ثم راح يجرب حظه فى الخارج ..

« وفجاءة يسكت ثم يقول »

ما هذه الضجة .. ؟ ماذا أرى وأسمع .. ؟ ؟

احسان إن هذا الصوت الشاكى الباكى الصارخ النائح صوت ناهد ما فى ذلك شك أو ريب .. فانظر ماذا حدث بالمنزل . قم فإن قواى قد خارت ، وأنفاسى تكاد أن تختنق ...

رءوف « يندفع صوب الصوت وهو يقول » وعند صفو الليالي يحدث الكدر ...

« لم يكد يتم كلمته حتى يدخل « رجال الأسعاف » يحملون « عادل » بين أيديهم مضمد الصدر بضماد قد تخضب بالدم الغالى .. دم الشباب الغض فتضرب « احسان » بكلتا يديها على صدرها حتى يغشى عليها وهى تقول »

احسان ولدى .. ولدى .. ولدى ..

رءوف « تفلت من بين شفتيه آهة تسيل فيها آلام نفسه ثم ينحنى عليه يقبله ويقول » ليس لك أعداء يا ولدى .

فمن الذى فعل بك هذا . ؟

« فيطلب اليه « رجل الأسعاف » أن يغض من صوته رحمة بالجريح فيذعن لقوله ويخرج بعد أن يطلب إلى ناهد أن تسهر على راحته .. فتركع بجانب سريره وتمسك بيده تغمرها بقبلاتها ودموعها فيرفع طرفه إليها ويمعن النظر فيها ويقول بصوت خافت متهافت »

عادل ناهد ...

ناهد سيدى ...

عادل آه .. صدرى .. قلبي .. أموت يا ناهد ..

ناهد يسلم صدرك وقلبك وتعيش لخادمك المخلصة الوفية ناهد التى أنت شمسها المشرقة ، وضوؤها الساطع الذى تمشى به فى الحياة ...

عادل آه .. لو عشت لك يا ناهد لجعلت حياتك نعيما كلها ، ولملأتها عليك أمنا وبركة وإسعاداً ولكن .. يؤلمنى أن أرى آمال الغد تموت اليوم ...

ناهد سنعيش وأسعد بحياتك وسيكون نصيب من اعتدى عليك هذا الاعتداء المنطوى على الخسة والنذالة الشقاء الدائم والعذاب المقيم فى الدنيا والآخرة ، فمن يكون ذلك النذل . ؟ ليت أمه قد ثكلته ...

عادل إنسان لم أسيء اليه يوماً قط ولم أمدد اليه يدى إلا بإحسان ..

ناهد ياللضعة .. ويا للنذالة ...

عادل « يقول والكلمات تموت على شفتيه » خرج من الحان ثائراً مهتاجاً يخفى تحت برديه ما أغمده فى أحشائى ثم تركنى بين الحياة والموت ...

ناهد مزق الله جسده كما مزق حياتى وحطمها بيده الأثيمة المجرمة ...

عادل « فى لهجة بادية التأثر » ما كنت السبب فى طرده — شهد الله — ولا فى شقاوته وحرمانه ..

ناهد « بصوت مضطرب خافت » من تعنى بقولك هذا ياسيدى . ؟ ؟

عادل أعنى حسنى الذى كنت أعطف عليه وأعمل على إيجاد عمل له ولكنه تعجلنى بهذه الطعنة القاتلة لطف الله بى وغفر له ..

ناهد حسني .. أخى .. هو الذى ارتكب هذه الحماقة .. رب .. أين المفر ..

« ثم تهب قائمة وتنظر اليه خائفة مذعورة وشعرها قد ثار وإنسانيتها قد تلاشت واختفت وتجوب الصالون شمالا ويميناً كالذى يتخبطه الشيطان من المس ، وتثور عصبيتها وتحتد وتضرب رأسها بيديها ضربات عنيفة متوالية إلى أن تقع عينها الملتهبة المتقدة على مدية الفاكهة فتأخذها من فوق المائدة وتغمدها فى صدرها وتقول وهى تخر على الأرض »

إنهم يطاردونني أينما كنت ، ويسدون في وجهي مسالك الحياة ، فلمن أبقى . ؟ لمن أعيش . ؟ وقد لفظتني الحياة ، وعافني المجتمع . .

هـذا جناه أبي عليّ وما جنيت على أحـد

« ينظر عادل اليها فيجدها على قيد خطوات منه ملقاة على الأرض والدم يسيل من صدرها فينسى نفسه .. ينسى أنه جريح .. وينهض قائماً ولكن قوائمه تعجز عن أن تحمله فيقع على الأرض مغشياً عليه ، وبعد فترة سكون يستعيد فيها ما تبقى فى جسده المتهدم من نشاط يحبو اليها حتى إذا بلغ منه الجهد استلقى على ظهره ومد يده ليمسك بأطراف ثوبها ويقول »

عادل ناهد .. عودى الى نفسك .. ها أنذا الذى لا أزال مقيما على حبك وعبادتك كالماضى مادام فى رمق من الحياة .. فلا تموتى ياحبيبتى فأنى لا أحتمل طعنتين فى وقت واحد ..

« فتحس به وهى تجود بنفسها فترفع نفسها محاولة القيام غير أن قواها تخونها فتقع ولكن على ساعده الأيمن فيمد يده اليسرى فى رفق لينتزع المدية من صدرها إبقاء عليها وقبل أن ينتزعها يدخل والده ثائراً صاخباً ويقول والشرر يتطاير من عينيه » ..

رءوف أين ناهد .. أين أخت المجرم الفاجر الكافر بالنعمة لتلحق به .. لتخرج .. فلن أقبل بعد اليوم فى منزلى شريداً

قد لوثت الخمر دمه .. فالأرض الخبيثة لا يخرج نباتها إلا نكِداً ...

« ولكنه عندما يجد المدية المغمدة فى صدر ناهد بيد ولده يرجع خطوات الى الخلف ويقول وقد جف حلقه ، واضطرب قلبه ، وعرته رعدة شديدة .. »

أخبروا البوليس والنيابة ليضبطوا الحادث .. ليضبطوا المجرم وهو متلبس بجريمته .. ليصفدوه فى الأغلال ، ويلقوا به فى غيابة السجن أسرعوا .. أسرعوا .. أعلنوا الفضيحة للناس ...

ولدى .. بأى وجه ألقى الناس بعد أن مزقت بيدك المذنبة شرف أسرتك ، ولوثته بدم بريئة لا ذنب لها .. دم ناهد الضحية .. المسكينة .. لو لقيت الموت ضحية لقلنا مات شهيد الكرم والمروءة ، ولكان لنا فى هذا بعض العزاء .. أما أن أراك — وأنا فى هذه السن المتقدمة — تؤخذ الى السجن أخذ المجرمين فهذا ما ليس فيه تصبر ولا عزاء ، رباه .. هذا فوق طاقتى وأقوى من احتمالى ..

« ثم يرتمى على المقعد ساكتاً إلا عن أنفاس مضطربة حتى يفاجئه النائب بقدومه فينهض للقائه فى ذهول عميق وحرقة دامية ويمد اليه يده مسلما ولكن هذا يتجاهل اليد الممدودة ويقول .. »

النائب ما اسم المجنى عليها .؟؟

رءوف « وقد أمسك الحزن لسانه واهتاج قلبه لوعة وأسى » نا .. نا ...

النائب تكلم أيها الرجل ..

رءوف ناهد .. ابنتي .. خادمتي ..

النائب أبمثل هذه المعاملة أمرتم أن تعاملوا خادماً فلا ترحمون لها ضعفاً ، ولا تحترمون منها أنوثة ؛ ألا تتقون الله فى عباده .. ألا تخشون بأس الظلم والاستبداد .. بأى ذنب قتلت هذه الموءودة .. ؟ بأى ذنب .. ؟ شدوا وثاقه .. خذوه فغلوه ..

رءوف « يجثو عند قدميه ويقول » سيدى النائب ...

النائب دع النائب يؤدى واجبه ، وينفذ القانون فى هذا المجرم الدنىء السافل ..

رءوف ليس ولدى من قطاع الطرق ، ولا من سفاكى الدماء حتى تصموه بالدناءة والأجرام .. اعتبروه مختلا لا مجرماً .. قولوا إنه عدو ولا تقولوا إنه سافل .. صفوه بالمرض لا بالدناءة حتى يأتى يوم الفصل ، ويقول القضاء فيه كلمته .. ثم اذكروا أنه درس القانون ، وأنه من رجاله الذين جاهدوا فى الله حق جهاده ..

النائب رجل القانون هو الذى يحترم نصوصه وينزل عند أحكامه .. رجل القانون هو الذى يعرف أن اليد التى تقتص لنفسها لا يمكن أن تكون عادلة ...

رءوف إنى وإن كنت لا أعـرف ما سيقول « الطبيب الشرعى » فى تقريره عن الحادث إلا أنى مطمئن الى النتيجة لأنى أعرف لولدى ضميراً حياً وقلباً حساساً لا يمكن أن يكون لمجرم ...

النائب ولكننا نستعين على تعرف ما فى قلوب الناس وضمائرهم بما كسبت أيديهم ، فمثل هذه اليد الملطخة بدم الجريمـــة لايمكن أن تكون لإنسان له إحساس وشعور .. شدوا وثاقه .. صفـــدوه فى الأغلال ثم القوابه فى مستشفي السجن

رءوف ليكن قصاصكم رحمة لا انتقاماً ..

النائب خذوه فغلوه فإن فى العفو عن المجرم احتقارا للدماء البشرية ..

« يتقدم الجند ليسلكوا عادل فى الحديد ويحـاول أحدهم أن يرفع رأس ناهد عن ساعده ولكنها ترفع يدها اليمنى لتطوق بهـا عنقه وتقرب من شفتيه شفتيها وتقبله قبلة تخرج روحها فيها

« فيتراجع الجند بأشارة من النائب الذى يولي وجهه شطر الباب ويقول »

خلوا سبيله ..

فينحنى الوالدان عليها يقبـــلانها فى حرارة ويبكيان شبابهـا ووفاءها .. بينما الستار ينزل ببطء ..




Bibliotheca Alexadrina
02236485